الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

كلية الآداب

قسم الدراسات اللغوية

أمالي بيداغوجية في مادة اللسانيات العربية القديمة

مستوى: السنة الأولى ماستر

تخصص: اللسانيات العربية

ميدان: اللغة والأدب العربي

أ.د. مليـ[illegible] محمـ[illegible]
رئيس المجلس العلمي
لكليـة الآداب

إعداد الدكتورة: بن عياد فتيحة

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

مقدّمة:

يُعدّ مقياس اللسانيات العربية القديمة من المقاييس الأساسية في تكوين طالب السنة الأولى ماستر تخصص اللسانيات العربية، إذ يهدف إلى تعميق معارفه اللغوية وربطها بجذورها التراثية، بعد أن يكون قد اطّلع في مرحلة الليسانس على المبادئ العامة للدراسات اللغوية بمختلف فروعها. ويأتي هذا المقياس ليكشف عن الأبعاد اللسانية الكامنة في التراث العربي، ويبرز الجهود العلمية التي أسهمت في بناء الفكر اللغوي العربي وتأسيس علوم اللغة على أسس منهجية راسخة.

ويندرج هذا المقياس ضمن الوحدة التعليمية الأساسية، بمعامل (02) ورصيد (04)، وقد اختيرت مفرداته بعناية، ورتّبت محاوره وفق تسلسل علمي يراعي تطور الدرس اللساني العربي في مستوياته المختلفة، من المفاهيم والمصطلحات، إلى النشأة والتطوّر، ثم تحليل الجهود اللسانية عند العرب القدامى في مستوياتها الصوتية، والنحوية، والصرفية، والدلالية، والمعجمية.

ويهدف هذا المقياس بصفة عامة إلى أن يطلع الطالب على علم اللسانيات العربية القديمة، نشأة وتطورا وتحليلا لمستوياته ومساراته العربية ومرجعياته المعرفة المتعددة.

وبصفة خاصة إلى:

1. أن يتعرف الطالب على نشأة وتطور اللسانيات العربية القديمة وفروعها المتعددة.

2. أن يحدد الطالب مفهوم اللسانيات العربية القديمة ويعين موضوعها ومجالاتها.

3. أن يتعرف الطالب على تاريخ نشأة الفكر اللساني عند الأمم القديمة (الهنود، اليونان، الرومان، العرب).

4. أن يطلع الطالب على تطور الدراسات اللسانية العربية من القديم إلى الحديث.

5. أن يرصد الطالب جهود اللسانيين العرب القدامى .

6. أن يكتشف الطالب تجليات المنهج الوصفي البنيوي وأن يرصد آلياته وإجراءاته.

7. أن يتعرف الطالب على المستوى الصوتي في التحليل اللساني العربي للغة.

8. أن يصنف الطالب آليات فهم التركيب في التحليل اللساني العربي للغة.

9. أن يفسر الطالب آليات استخراج الدلالة في التحليل اللساني العربي للغة.

10. أن يوضح الطالب المستوى الصرفي في التحليل اللساني العربي للغة.

11. أن يتعرف الطالب على أهم المدارس اللسانية التي أسهمت في تطور الدرس اللساني العربي.

وقد ضمّت هذه المطبوعة محاضرات سبق تدريسها خلال مواسم جامعية متعددة، وجاءت موزّعة على عشر محاضرات، رُتّبت وفق تسلسل منهجي يراعي تطوّر الدرس اللساني العربي ومستوياته التحليلية، وجاءت عناوينها ومضامينها على النحو الآتي:

1. المحاضرة الأولى: التحديد المصطلحاتي والمفاهيمي.

خُصّصت لتحديد مفهوم اللسانيات العربية، وضبط مصطلحاتها الأساسية، وبيان مجالاتها وفروعها وأهدافها.

2. المحاضرة الثانية: نشأة اللسانيات العربية.

تناولت ظروف نشأة الفكر اللساني العربي، والعوامل التي أسهمت في تطوّره، وصلته بالحاجة الدينية والعلمية.

3. المحاضرة الثالثة: الجهود الصوتية عند العرب القدامى.

عُرضت فيها إسهامات العلماء العرب في الدرس الصوتي، من حيث مخارج الأصوات وصفاتها وتنظيمها.

4. المحاضرة الرابعة: الجهود النحوية عند العرب القدامى.

خُصّصت لتقديم نظرة عامة عن النحو العربي بوصفه مكوّنًا أساسيًا من مكوّنات التحليل اللساني (النشأة والتطور)

5. المحاضرة الخامسة: الجهود النحوية عند العرب القدامى (02).

عُرضت فيها أبرز المدارس النحوية (البصرية، الكوفية)، وأهم خصائص مذهبهما وأعلامهما.

6. المحاضرة السادسة: الجهود النحوية عند العرب القدامى (03).

عُرضت فيها أبرز المدارس النحوية (البغدادية والأندلسية)، وأهم خصائص مذهبهما وأعلامهما.

7. المحاضرة السابعة: الجهود الصرفية عند العرب القدامى.

درست المستوى الصرفي من حيث المفهوم والنشأة والتطور.

8. المحاضرة االثامنة: الجهود الدلالية عند العرب القدامى.

خُصّصت لبيان آليات استخراج المعنى، وقضايا الدلالة والاشتراك والترادف والمجاز.

9. المحاضرة التاسعة: الجهود المعجمية عند العرب القدامى.

تناولت مفهوم ونشأة المعجم العربي، وأهدافه، وإجراءاته في جمع الألفاظ وضبطها.

10. المحاضرة العاشرة: المدارس المعجمية ومناهج التأليف المعجمي.

خُصّصت لعرض المدارس المعجمية العربية، ومناهج ترتيب المواد المعجمية، وأهم المعاجم وأعلامها.

وقد تمّ إعداد هذا الحامل البيداغوجي بالاعتماد على جملة من المراجع التراثية والحديثة التي تمثّل ركائز أساسية في الدرس اللساني العربي، من أبرزها: كتاب سيبويه، والخصائص لابن جني، والبيان والتبيين للجاحظ، ومفتاح العلوم للسكاكي، والعين للخليل بن أحمد الفراهيدي، إلى جانب عدد من الدراسات اللسانية الحديثة، مثل: اللسانيات: النشأة والتطوّر لأحمد مومن، والمدارس اللسانية – أعلامها، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، واللسانيات العامة الميسّرة: تطبيقات من اللغة

العربية لنعمان عبد الحميد بوقرة، وغيرها من المراجع التي أسهمت في إثراء هذا العمل ودعم مادته العلمية.

وختامًا، نأمل أن تسهم هذه المطبوعة في تقديم صورة علمية متكاملة عن اللسانيات العربية القديمة، وأن تكون عونًا لطلبة السنة الأولى ماستر في بناء رصيد معرفي ومنهجي يمكّنهم من فهم التراث اللغوي العربي واستثماره في الدراسات اللسانية المعاصرة.

د. بن عياد فتيحة

المحاضرة الأولى:

التحديد المصطلحاتي والمفاهيمي.

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

تمهيد:

تُعدّ اللسانيات من أهم العلوم الإنسانية الحديثة التي أسهمت في إعادة النظر في اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية شاملة، تتجاوز حدود التقويم والمعيار إلى الوصف والتحليل العلمي الموضوعي. وقد مثّل الانتقال من الدراسات اللغوية التقليدية إلى اللسانيات الحديثة تحوّلًا منهجيًا عميقًا، أتاح فهْم اللغة في بنيتها الداخلية ووظائفها التواصلية، وربطها بالإنسان والمجتمع والفكر.

وتسعى هذه المحاضرة إلى ضبط المفاهيم والمصطلحات الأساسية المرتبطة باللسانيات، والكشف عن تطوّر المصطلح اللساني في الفكر الغربي وانتقاله إلى الدرس العربي، مع التمييز بين اللسانيات بوصفها علمًا عامًا، واللسانيات العربية في مفهوميها القديم والحديث، وبيان الفروق الدقيقة بين "اللسانيات العربية" و"لسانيات العربية"، تمهيدًا لفهم مسار الدرس اللساني العربي قديمه وحديثه.

1. تحديد مصطلح اللسانيات:

ظهر مصطلح اللسانيات Linguistique أول ما ظهر في ألمانيا ثم انتقل إلى الدراسات اللغوية الفرنسية سنة 1855 ليشيع استعماله في دراسة اللغة دراسة علمية تتوخى المثالية في البحث اللساني فهي علم يهتم بدراسة كل اللغات المكتوبة والشفوية ميتة كانت أو حية القديمة منها أو الحديثة باعتبارها تؤدي جميعها الوظيفة التواصلية في الحياة الإنسانية.[1]

---

[1]. ينظر: اللسانيات العامة الميسرة تطبيقات من اللغة العربية. نعمان عبد الحميد بوقرة. عالم الكتب الحديثة ا. لأردن ط.20151. ص 33

وقد شهد مصطلح اللسانيات Linguistique تنوعا اسميا في اللغة العربية منها: علم اللغة، فقه اللغة، اللغويات، الألسنية، علم اللسان، علم اللسانيات.

وكلها مسميات تختلف دلالتها عن دلالة مصطلح اللسانيات فدلالة مصطلح علم اللغة كان يعبر عن جمع الألفاظ اللغوية وتبويبها في معاجم خاصة والتعرض إلى معانيها الوضعية الأساسية ودلالتها السياقية، أما لفظ "فقه اللغة" الذي بدأ يستعمله العلماء في القرن الخامس الهجري فهو مصطلح غير ثابت من حيث الدلالة على تخصص علمي حيث يعني العلم بالشيء والتعمق في فهمه فهو لا يدل أبدا عندهم على ما يدل عليه علم اللسان الذي يبحث في أسرار الكلام؛ بل أرادوا به الدراسة المتعمقة للغة فقط ولا يدرس اللسان كله، وموضوعه هو البحث عن الفوارق اللغوية الناتجة عن التعارض بين الوضع والاستعمال وما ينتج عنه من تنوع في الدلالة[2].

وقد أجمع اللغويون على أن مصطلح اللسانيات هو الأقرب إلى روح العربية وقد عرف استقرارا وشاع في أغلب المحافل اللغوية والدراسات العربية الحديثة بعد أن قررته ندوة اللسانيات المنعقدة بتونس 1978[3]، حيث قال اللساني عبد الرحمن الحاج صالح:" فلا نظن أنه يوجد لفظ أصلح لتأدية المفهوم الحديث من هذا الذي انطلق منه أصحاب الLinguistics. أنفسهم".[4]

---

[2].ينظر: بحوث ودراسات في علوم اللسان. الدكتورعبد الرحمان الحاج الصالح. موفم للنشر. الجزائر. دط. 2007. ص88.

[3].المرجع نفسه، ص33

[4].بحوث ودراسات في علوم اللسان. الدكتورعبد الرحمان الحاج صالح. ص87.

1.1. تعريف اللسانيات (Linguistique):

هي العلم الذي يدرس اللسان البشري دراسة علمية وموضوعية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام والمعيارية فهي علم لا يدرس لغة معينة حسب بل يدرس اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية عامة لفهم أنظمتها المختلفة وتحليل بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ودلالة مفرداتها وتراكيبها.

2. اللسانيات العربية:

1. اللسانيات بالمفهوم العربي القديم:

إنَّ علوم اللغة عند ابن سيدة، والعلوم اللسانية عند ابن خلدون في المقدمة، وكذلك تعبير علوم اللسان عند لغويين قبل ابن خلدون، تدلّ كلّها على معنى واحد هو: علوم اللغة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن قول اللسانيات العربية لا يخرج في دلالته عن هذا المعنى، إذ يفيد أن اللسانيات هنا هي علوم اللغة العربية، وتكون كلمة العربية صفة كاشفة تقيد اللسانيات بالعربية، ويفيد الوصف في هذا السياق التخصيص فقط.

وأما قول لسانيات اللغة العربية فإنه يعني أيضًا علوم اللغة العربية، غير أنّه يشتمل على تكرار دلالي؛ لأن اللسانيات في أصل وضعها هي علوم اللغة، فإضافة كلمة اللغة لا تضيف معنى جديدًا، بل تعيد ما هو متضمن في مفهوم اللسانيات نفسها. ولذلك يحسن حذف كلمة اللغة، والاقتصار على قول لسانيات العربية.

وتفيد الإضافة في قول لسانيات العربية التعريف والتخصيص، ومن ثَمّ يكون هذا التعبير أقوى دلالة من قول اللسانيات العربية؛ لأنه يحدد المجال تحديدًا أدق، ويؤدي المعنى من غير تكرار، مع المحافظة على الانسجام المصطلحي مع ما جرى عليه الاستعمال في الحديث عن علوم اللغة.

2. اللسانيات العربية بالمعنى الحديث:

إنَّ مصطلح اللسانيات العربية، بوصفه مصطلحًا مؤلَّفًا من موصوفٍ وصفةٍ، لا يرتبط دلاليًّا بكونه يحيل إلى علمٍ قائمٍ بذاته في التراث أو إلى كيانٍ معرفيٍّ سابق، بل إن دلالته تتحدد انطلاقًا من المنجز العلمي الذي كتبه وأنجزه اللغويون العرب المعاصرون. فكل ما قدّمه هؤلاء الباحثون من تأمّل لسانيّ، وتفكيرٍ لغويّ، وكتابةٍ علمية في ميدان الدرس اللغوي يُعدّ، من هذه الزاوية، لسانياتٍ عربية، على شرطٍ أساسٍ هو أن يكون موضوع هذا العلم أو البحث اللغوي متّخذًا اللغة العربية أو أجزاءً منها موضوعًا له. وعليه، فإن وصف اللسانيات بالعربية هنا وصفٌ راجعٌ إلى القائم بالفعل العلمي وإلى سياقه الثقافي والمعرفي، لا إلى طبيعة المنهج في ذاته.

أمّا مصطلح لسانيات اللغة العربية بالمعنى الحديث، فإن دلالته تختلف من حيث جهة الإسناد؛ إذ يدل دلالة مباشرة على العلم الذي يتّخذ العربية موضوعًا للدرس والتحليل، بصرف النظر عن هوية المنجِز لهذا العلم. فالدراسة اللسانية التي يكون موضوعها العربية تُعدّ من لسانيات اللغة العربية سواء أنجزها باحثون عرب أم أنجزها أجانب، كما نقول: نحو اللغة العربية، أي النحو الواصف لها، دون نظر إلى جنسية الدارس أو انتمائه الثقافي.

وعلى هذا الأساس، يكون الفرق بين المصطلحين فرقًا في زاوية النظر لا في موضوع الدرس؛ فاللسانيات العربية تُحيل إلى منجز لساني أنجزه عرب، ولسانيات اللغة العربية تُحيل إلى منجز لساني موضوعه العربية، أيًّا كان منجزه. وقد يلتقي الطرفان حين نتصور دراسة اللغة العربية بلسانيات عربية خالصة، تراعي خصوصية الموضوع المدروس، وتنطلق من وعيٍ بطبيعة العربية وبنيتها وتاريخها، فتجتمع حينئذٍ صفة المنجِز مع صفة الموضوع، من غير تعارض ولا تداخل مصطلحي.

3. الفرق بين اللسانيات العربية ولسانيات العربية:

لا يقتصر الفرق بين مصطلحي اللسانيات العربية ولسانيات العربية على البنية التركيبية، بل يتجاوزها إلى ضبط المفهوم وتحديد مجال الاشتغال العلمي. فلكلٍّ من المصطلحين حمولة دلالية مختلفة، تنعكس مباشرة على طبيعة الموضوع والغاية.

فلسانيات العربية تقوم على جعل اللغة العربية موضوعًا وهدفًا للبحث اللساني، إذ ينصرف الاشتغال فيها إلى دراسة العربية في مختلف مستوياتها، صوتيةً وصرفيةً وتركيبيةً ودلاليةً وتداولية، بوصفها موضوعًا معرفيًّا قائمًا بذاته. وعليه، فإن اللساني في هذا السياق يوجّه أدوات التحليل اللساني إلى العربية نفسها، قصد فهم بنيتها ووظائفها وقوانين اشتغالها.

أمّا اللسانيات العربية فمجالها أوسع من حيث الامتداد، وأقل تحديدًا من حيث الموضوع؛ إذ يدلّ المصطلح على كل ما يُكتب باللغة العربية في اللسانيات، سواء تعلّق الأمر باللسانيات العامة، أو بلسانيات العربية، أو بلسانيات أيّة لغة من

اللغات الأخرى. فالوصف بالعربية هنا راجع إلى لغة الكتابة والتداول العلمي، لا إلى موضوع الدرس اللساني ذاته.

وبناء على ذلك، فإن لسانيات العربية تمثل مجالًا تخصصيًّا محدّدًا، يُضبط بموضوعه وغايته، في حين أن اللسانيات العربية تمثل فضاءً تعبيريًّا أوسع، تُحدّده لغة الإنجاز لا موضوع البحث. ومن ثمّ، فإن التمييز بين المصطلحين ضرورة مفهومية ومنهجية، لا مجرّد اختلاف في الصياغة أو التركيب."[5]

3. القديمة:

نقصد بها الموروث الفكري الذي عكف على تأليفه أسلافنا في مجال علوم اللسان العربي على مراحل متتالية من تاريخ أمتنا العربية، وهي علوم ارتبطت ببعضها وتكاملت في أداء الكلام واستقامته والتي أجملها الناظم "ابن مالك" في ألفيته في قوله:

نحو وصرف عروض ثم قافية وبعدها لغة قرض وإنشاء

خط بيان معان مع محاضرة والاشتقاق لها الآداب أسماء

1. علم النحو(بيان تركيب الجملة وتحليلها).
2. علم الصرف(تَصريفُ الكَلمةِ).
3. علم العروض.
4. علم القافية.
5. علم اللغة (علم المعاجم).
5. وعلم قرض الشعر أي نظم الشعر.

---

[5] . اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب عين الشق، المغرب، 1998.

6. علم الخطِّ والإملاءِ (قوانينُ الكتابةِ).

7. وعلم المعاني.

8. وعلم البيان.

9. وعلم المحاضرة.

10. وعلم الاشتقاق(إيجادُ الكلمةِ الجديدةِ من المصادرِ).

11. علم الأدب ويدخل فيه علم إنشاء النثر من الرسائل والخطب والمقالةِ، القصّةِ، المسرحيةِ، الحكمِ والأمثالِ.

12. علم قرض الشعر الإتيان بالكلام الموزون المقفى.

وصفوة القول أنّ مصطلح اللسانيات استقر في الدراسات الحديثة ليعبّر عن علم يدرس اللسان البشري دراسة علمية وصفية، بعيدا عن الأحكام المعيارية، ويعنى بجميع اللغات بوصفها أنظمة تواصل إنساني. كما اتّضح أن تعدد المصطلحات في العربية لم يكن اعتباطيًا، بل ارتبط بتطوّر الدرس اللغوي واختلاف مناهجه، غير أن مصطلح اللسانيات ظلّ الأقرب إلى المفهوم العلمي الحديث.

وقد أظهر العرض أن اللسانيات العربية في معناها القديم تشير إلى علوم اللغة التي أرساها التراث العربي، بينما تدل في معناها الحديث على الجهود اللسانية التي أنجزها الباحثون العرب المعاصرون حول اللغة العربية. كما تبيّن الفرق بين اللسانيات العربية بوصفها كل إنتاج لساني مكتوب بالعربية، ولسانيات العربية التي تتخذ اللغة العربية موضوعًا للدراسة والتحليل.

المحاضرة الثانية:

نشـــأة اللسانيـــات العربيـــــة.

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

تمهيد:

تُعدّ اللغة العربية واحدة من أهمّ اللغات السامية، إلى جانب العبرية، والآشورية، والسريانية، والكنعانية وغيرها، وقد نشأت في شبه الجزيرة العربية، التي شكّلت مجالها الجغرافي الأول. ويرى بعض الباحثين أنّ العربية تمثل اللغة السامية الأم التي تفرّعت عنها بقية اللغات السامية، ويستند هذا الرأي إلى كونها أقلّ اللغات السامية تأثّرًا بالاختلاط اللغوي، إذ ظلّت فترة طويلة تعيش في بيئة شبه معزولة، الأمر الذي مكّنها من المحافظة على معظم الخصائص الصوتية والصرفية والنحوية المشتركة بين اللغات السامية، مثل نظام الجذور الصامتة، والتصريف بالاشتقاق، والإعراب، وبنية الفعل.

وقد حظيت اللغة العربية باهتمام بالغ منذ العصر الجاهلي، ويتجلى ذلك بوضوح في الشعر الجاهلي الذي يُعدّ سجلًا لغويًا وثقافيًا حفظ للعربية فصاحتها وأساليبها وثراء معجمها، كما مثّل معيارًا يُحتكم إليه في تقويم الاستعمال اللغوي. وكان هذا الشعر دليلًا على النضج الفني واللغوي الذي بلغته العربية قبل الإسلام، سواء على مستوى التراكيب أو الدلالات أو الأساليب البلاغية.

ومع ظهور الإسلام واتساع رقعة الفتوحات الإسلامية، ازداد الاهتمام باللغة العربية ازديادا ملحوظا، إذ أصبحت لغة القرآن الكريم والعبادة والإدارة والعلم، فأسهم القرآن إسهاما كبيرا في إحياء العربية وتثبيتها، ومنحها طاقة استمرارية وحيوية، كما وحّد لهجاتها في إطار لغوي مشترك يقوم على الفصاحة والبيان. وكان للقرآن الكريم

دور حاسم في رفع مكانة العربية، إذ غدت لغة مقدّسة ومرجعا لغويا أعلى يُقاس عليه.

غير أنّ دخول الأعاجم في الإسلام واختلاط العرب بغيرهم بعد الفتوحات أدّى إلى تأثّر اللسان العربي، وظهور ظاهرة اللحن في الكلام، نتيجة اختلاف الألسنة وتباين النظم اللغوية. وقد أثار هذا الوضع قلق العلماء، خاصةً خوفهم من أن يمتدّ اللحن إلى تلاوة القرآن الكريم وفهمه، فيُفضي ذلك إلى تحريف المعنى أو اضطرابه. ومن هنا نشأت الحاجة الملحّة إلى تقعيد اللغة وضبطها، فكان ذلك سببًا مباشرًا في ظهور علم النحو، الذي وُضع أساسًا لصيانة اللسان العربي، وحفظ سلامة القرآن الكريم، وضبط الاستعمال اللغوي وفق قواعد مضبوطة.

وهكذا يُعدّ علم النحو ثمرةً من ثمار الحرص على حماية اللغة العربية من التحريف، وضمان استمرارها لغةً فصيحة قادرة على أداء وظائفها الدينية والعلمية والحضارية، وهو ما يعكس الوعي المبكر لدى العلماء بأهمية اللغة في حفظ الهوية والدين معًا.

1. عوامل نشأة الدراسات اللغوية عند العرب:

إنّ الخوف على القرآن الكريم من مخاطر اللحن والتّحريف يعتبر السّبب المباشر لظهور علم النّحو وتطبيقه على اللغة العربية باعتبارها الوسيلة الوحيدة لفهم أحكام القرآن الكريم وضبطه، وأوّل من يشار إليه في هذا المجال "عبد الله بن عباس" (ت 68هـ) الذي كان يدرّس القرآن في حلقات المساجد، وبعده "أبو الأسود

الدؤلي"(ت 69هـ) الذي وضع قواعد النحو العربي بطلب من علي "بن أبي طالب" (رضي الله عنه).

وتكاد قصة بنت "أبي الأسود الدؤلي" تكون المعلم المشهور في ذلك، فقد دخل عليها في وقدة الحر بالبصرة، فقالت له: يا أبت، ما أشدُّ الحر(متعجبة)، وقد رفعت (أشدُّ)، فظنّها تسأله وتستفهم منه؛ أيّ زمان الحرّ أشدّ؟ فقال لها : شهر ناجر(صفر)، أو الرمضاء(رمضان) في الهاجرة يا بنية، فقالت: يا أبت، إنّما أخبرتك، ولم أسألك[6].

ومن ثمة ظهرت الجهود اللغوية الأولى، وقد أجمعت الدراسات التي أرخت لنشأة الدرس اللغوي العربي أن أبا الأسود الدؤلي (ت 69هـ) ممن لهم فضل السبق في هذا المجال من خلال ضبطه المصحف بأمر من علي بن أبي طالب حيث قام بنقط القرآن الكريم حسب حركات أواخر الكلمات، وهو أول جهد يرصد في دراسة اللغة العربية عامة فقد ارتكزت الدراسات اللغوية العربية على النحو الذي كان المظهر الأول لها.

ثم ظهر بعد ذلك مجموعة من العلماء منهم: عبد الرحمن بن هرمز(ت 148هـ)، ويونس بن حبيب (ت 183هـ) ونصر بن عاصم الليثي (ت89هـ)، عيسى بن عمر الثقفي (ت 149هـ)، وأبو عمر بن العلاء (ت 154هـ)، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت117هـ)، ثم بعدهم يأتي الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) واضع علم العروض وصاحب كتاب العين الذي يحتوي على ثمانية وأربعين جزءا،

---

[6] .ينظر: الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تح: مازن مبارك، مكتبة العروبة، ص89.

ويعد أول معجم ذي قيمة كبيرة في اللغة العربية [7]، ليأتي تلميذه سيبويه (ت 180هـ) بعده والذي يعد رائد النحو بلا منازع فهو إمام النحاة وصاحب مؤلف " الكتاب".

ومن ثمة ظهرت الجهود اللغوية الأولى، فقد أجمعت الدراسات التي أرخت لنشأة الدرس اللغوي العربي أن أبا الأسود الدؤلي ممن كان لهم فضل السبق في هذا المجال من خلال ضبطه المصحف حيث قام بنقط القرآن الكريم حسب حركات أواخر الكلمات، وهو أول جهد يرصد في دراسة اللغة العربية عامة، فقد ارتكزت الدراسات اللغوية العربية على النحو الذي كان المظهر الأول لها.

إلا أن الأكيد أن دراسة اللغة العربية لم تقتصر على النحاة وحدهم بل اهتم بهذه الدراسة مجموعة من الرواة واللغويين والقراء والأصوليين وحتى الفلاسفة فيما بعد، مما جعل المصطلحات التي تطلق على هذا العلم تتعدد وتتشعب منها: العربية، وعلم العربية، النحو، علم اللغة، فقه اللغة... وهي مصطلحات تتردد في التراث اللغوي العربي للدلالة على دراسة اللغة العربية، ولعل أقدم هذه المصطلحات هو مصطلح "العربية" والذي اقترن فيما بعد بكلمة "علم" ليصبح "علم العربية" يطلق على دراسة اللغة العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا.

أما مصطلح النحو فقد ظهر متأخرا واقترن بالتعليم عندما ظهرت طبقة المعلمين الذين أخذوا يعلمون الناس قواعد العربية حتى تستقيم ألسنتهم بعد تفشي اللحن حيث كانوا يسمونهم "نحويين"[8]، ولكن بعض الباحثين يرى أن مصطلح النحو يحمل دلالة أوسع من هذه النظرة المحدودة التي تجعل منه الجانب التعليمي فقط لما

---

[7]. اللسانيات، النشأة والتطور، أحمد مومن، ص37.

[8]. ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009، ص 203.

أنتجه العقل العربي في تلك الفترة من تاريخ الدرس اللغوي العربي، فمصطلح النحو هو المقابل لما يطلق عليه اليوم اللسانيات العربية[9].

كما استخدم مصطلح "علم اللغة" عند القدامى بمعنى دراسة الألفاظ ومدلولاتها وتصنيفها في المعاجم والكتب[10]، وقريب منه مصطلح "فقه اللغة" الذي ارتبط بمعرفة الألفاظ العربية ودلالاتها على نحو ما جاء عند "ابن فارس"(ت 395هـ) في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" وعند "أبي منصور الثعالبي"(ت 429هـ) في كتابه "فقه اللغة وأسرار العربية"[11].

فموضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللغات فحسب، ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي للغات موضوع للدراسة[12]، إضافة إلى أنه "مصطلح غير ثابت أو واضح من حيث الدلالة على تخصص علمي معين، بل هو مجال للتفكير في قضايا اللغة في جميع تمظهراتها الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والأسلوبية والتداولية"[13]

أما علم اللغة " فيركز على اللغة نفسها ولكن مع إشارات عابرة إلى قيم ثقافية، وتاريخية، ويولي علم اللغة معظم اهتمامه للغة المتكلمة، وإن كان يوجه كذلك للغة المكتوبة شيئا من الاهتمام"[14]

---

[9]. ينظر: التطور الإبستيمولوجي للخطاب اللساني، جمعان بن عبد الكريم، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010، ص 40.

[10]. العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، دار الغريب، القاهرة، 2001، ص 84.

[11]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[12]. أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 8، 1988، ص 35.

[13]. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، ص 7.

[14]. أسس علم اللغة، ماريو باي، ص 35.

وفيما يخص المصطلح الأخير "علم اللسان" فقد كان استخدامه نادرا حيث كان أول استخدام له من طرف "الفارابي"(339هـ) في كتابه "إحصاء العلوم" للدلالة على كل العلوم اللغوية، كما أدخل في هذا العلم جوانب تعليمية تطبيقية تنتمي الآن إلى فرع مستقل في اللسانيات الحديثة يطلق عليه "اسم اللسانيات التطبيقية"[15].

وعليه نشأت اللسانيات العربية بدافع الحفاظ على سلامة اللغة العربية وصون القرآن الكريم من اللحن والتحريف بعد اختلاط العرب بالأعاجم. وكان ظهور علم النحو أول مظهر للدراسات اللغوية العربية، حيث يُعدّ أبو الأسود الدؤلي رائد هذا المجال، ثم تتابعت الجهود مع علماء كبار مثل الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه. وقد تعددت المصطلحات الدالة على دراسة اللغة العربية في التراث، كالعربية، والنحو، وعلم اللغة، وفقه اللغة، وعلم اللسان، وتنوّعت دلالاتها ومناهجها، غير أنّها جميعًا أسهمت في بناء الدرس اللغوي العربي، الذي يُعدّ أساسًا لما يُعرف اليوم باللسانيات العربية.

---

[15] . اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، ص 206.

المحاضرة الثالثة:

الجهود الصوتية عند العرب القدامى.

تمهيد:

اهتم العرب القدامى بالجانب الصوتي في دراستهم للغة اهتماما بالغا يرجع إلى علاقة علم الأصوات المتينة بالخطاب القرآني، وكذا خدمة لكتاب الله المعجز للحفاظ على لغته خوفا من التحريف، فقدموا في هذا الشأن بحوثا قيمة شهد لها المحدثون إذ وصفوا لنا الحروف وصفا دقيقا أثار دهشة المستشرقين، حتى قال أحدهم: "لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام المشرق وهما أهل الهند(يعني البراهمة) والعرب"[16] مما جعل علم الأصوات يأخذ منعرجا هاما مع ثلة من العلماء، حيث بذلوا جهودا كبيرة اتصفت بالجودة والموضوعية فساهموا بذلك مساهمة فعالة حتى وصل هذا العلم إلى ما وصل إليه ومن هؤلاء نجد:

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): هو لغويٌّ عربيٌّ رائد، يُعدّ مؤسّس الدرس الصوتي عند العرب، وأوّل من نظّم الأصوات العربية تنظيما علميا في كتاب العين، واضع الترتيب الصوتي للحروف، ومؤسّس علم العَروض.

إن أول بذرة صوتية بدأت بظهور أوّل معجم في العربية، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، والذي بُني على أساسٍ صوتيٍ، "ويبدو أن الخليل كان محتاجا إلى إظهار هذا العلم، والحاجة أم الاختراع، لمبلغ الاعتماد عليه في إنشاء معجم شامل للعربية. "[17]، حيث صُدّر بمقدمةٍ صوتية تُعدُّ أولَ دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب. ولا غروَ فصاحبها الخليل مفتاح العلوم ومصرفها، ذو الباع الطويل

---

[16]. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، ص 11.

[17]. اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي، أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا، ط1، 2001، ص 41.

بالموسيقى وغير ذلك مما له مساس بعلم الأصوات، "وليس بين أيدينا دليل يشير إلى أن أحدا تقدم الخليل في هذا المجال، لذلك يعد رائدا لهذا العلم كريادته لعلوم اللغة والعروض عند العرب بلا منازع"[18]، فكان الخليل أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها: "وإنما كان ذواقُهُ إياها أنه كان يفتح فاهُ بالألف ثم يظهر الحرف نحو: أَبْ، أَتْ، أَحْ، أَعْ، أَغْ، فوجد العين أدخلَ الحروف في الحلق، فجعلها أوّلَ الكتاب، ثُمَّ ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم"[19]، وهو ما عرف بالترتيب الصوتي لأصوات اللغة العربية، فكانت على الشاكلة الآتية: (ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز،ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، الهمزة)[20]، وهي تسعة وعشرون حرفا، قسمها بحسب تمايزها في المخرج إلى فئتين، سمى الأول بمجموعة الحروف الصحاح، والثانية بالأحرف الجوفية.

أما مخارج الحروف الصحاح ثمانية[21]:

1. الحروف الحلقية: ع، ح، هـ، خ، غ.

2. الحروف اللهوية: ك، ق.

3. الحروف الشجرية: ج، ش، ض.

---

[18] . اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي، أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا، ط1، 2001، ص 41.

[19] . العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980، ج1، ص47.

[20] . المرجع نفسه، ص 48.

[21] . العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص 57،58.

4. الحروف الأسلية: ص، س، ز.

5. الحروف النطعية: ط، د، ت.

6. الحروف اللثوية: ظ، ذ، ث.

7. الحروف الذلقية: ر، ل، ن.

8. الحروف الشفوية: ف، ب، م.

2. سيبويه (ت 180هـ):

وهو إمام النحاة وتلميذ الخليل، قدّم في الكتاب دراسة صوتية دقيقة للأصوات العربية، حدّد فيها مخارج الحروف وصفاتها، ووسّع البحث في قضايا الإدغام والهمس والجهر، فقد حاول إكمال ما بدأه أستاذه في المجال الصوتي فقدم دراسة للأصوات أوفى وأكثر دقة في كتابه "الكتاب" حيث خصص فيه بابا بعنوان "الإدغام" لدراسة الأصوات العربية ذكر فيه الحروف ومخارجها، المهموس منها والمجهور وأحوال مهموسها ومجهورها، وذكر اختلافها[22].

ففيما يخص مخارج الحروف فقد جعل مخارج الأصوات العربية ستة عشر مخرجا حيث يقول: " ولحروف العربية ستة عشر مخرجا"[23]، وقد خالف أستاذه الخليل في تحديد عدد المخارج الصوتية، حيث جعلها الخليل ثمانية مخارج ، أما سيبويه فقد تجاوز هذا إلى ستة عشر مخرجا، وبهذا يكون قد خالفه أيضا في

---

[22] . الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2005، ص 31.

[23] .الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، ج4، ص433.

ترتيب الحروف فكان على النحو التالي: (ء، ا، هـ، ع، ح، غ، خ، ك، ق، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و)، ومن ثمة فقد سار سيبويه على خطى أستاذه الخليل إلا أنه أسقط مخرج الأصوات الجوفية التي هي حروف المد واللين فقد جعل مخرج الألف من أقصى الحلق، وجعل الواو المدية من مخرج الواو المتحركة، وجعل الياء المدية من مخرج الياء المتحركة من وسط اللسان.

3. ابن جني (ت 392هـ): لغويٌّ وفيلسوف اللغة، يُعدّ أوّل من أفرد علم الأصوات بتأليف مستقل في كتاب سرّ صناعة الإعراب، ودرس الصوت من الجانبين العضوي والوظيفي، وسبق المحدثين في ترسيخ علم الأصوات نظريًا.

يعد "ابن جني" أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنّها علم قائم بذاته في كتابه "سر صناعة الإعراب" وهو كتاب كامل لدراسة الأصوات العربية بدت من خلاله قيمة الفكر اللغوي بشكل خاص فقد تضمن مباحث متنوعة تناولت الصوت من الناحية العضوية والناحية الوظيفية[24]، ويمكن إجمال موضوعات الكتاب فيما يلي:

1. وصف جهاز النطق.
2. عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها.
3. وصف مخارج الحروف وصفاً تشريحياً دقيقاً.

---

[24]. مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ص63.

4. الأجراس الطبيعية للحروف، وبيان صفاتها الطبيعية وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.

5. ما يعرض للصوت عند بناء الكلمة ومقاربته لآخر من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

6. بيان الشاذ والمقيس من أنواع التغيير في الحروف، والاستشهاد عليه.

وقد شهد الكثير من الدارسين أن "ابن جني" قد سبق الأوربيين في استعماله مصطلح "علم الأصوات" الذي يقصد به دراسة الأصوات والبحث في مشكلاتها إضافة إلى أنّ العرب لم تعرف كتابا مخصوصا لعلم الأصوات إلا بعد أن جاء "ابن جني" بهذا المؤلف الثريّ.

أما فيما يخص تقسيمه للأصوات العربية على مخارجها فهو لا يختلف كثيرا عما ذكره "سيبويه" بل نجده يتفق مع عباراته إلى حدّ المطابقة، حيث يقول: " اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر..." [25].

4. ابن سينا (ت 428هـ): فيلسوف وطبيب، تناول الأصوات من منظور فيزيائي وتشريحي في كتاب أسباب حدوث الحروف، وشرح آلية إنتاج الصوت وطبيعته، مع مقارنات بين الأصوات العربية والأعجمية.

عرض في كتابه "أسباب حدوث الحروف" إلى جوانب فيزيائية تتصل بالصوت وجوانب تشريحية تتعلق بأعضاء النطق الرئيسة كاللسان والحنجرة،

---

[25]. الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، ص32.

وجوانب ترتبط بآلية إصدار الأصوات، وجوانب أخرى فيها موازنات في الأصوات العربية وبعض الأصوات الأعجمية التي عرفها "ابن سينا"[26].

كما تناول طبيعة الصوت في كتابه وانتهى إلى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة وهي:

1. وجود جسم في حالة تذبذب.

2. وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب.

3. وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات.

وصفوة القول أن العرب القدامى قد قطعوا في مجال الدراسة الصوتية أشواطا كبيرة بدراستهم لجل المحاور الأساسية، كانت محولاتهم " جليلة القدر كبيرة الفائدة، وكانت غايتهم خدمة اللغة العربية والنطق العربي، ولاسيما الترتيل القرآني، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية، واتصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحسّ دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم.

---

[26]. اللسانيات و آفاق الدرس اللغوي، أحمد محمد قدور، ص 69.

المحاضرة الرابعة:

الجهود النحوية عند العرب القدامى.

جامعة وهران1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

تمهيد:

لقد اهتمّ علماء العربية القدامى بالمباحث اللغوية وفي مقدمتها المباحث النحوية الصرفية، فلا يخفى على أحد قيمة التراث الذي خلفوه خاصة في هذين المجالين، فقد فهم القدماء درس الصرف فهما صحيحا حين جعلوه مع النحو مجالا واحدا، أو حين أشار بعضهم إلى ضرورة دراسته قبل النحو[27].

ويعد علم النحو دعامة العلوم العربية، فلا وجود لعلم منها مستقل عنه ولو بشيء بسيط، وهو وسيلة وسلاح ومدخل إلى هذه العلوم، فقد وصفه الأعشى بقوله: " هو ميزان العربية والقانون الذي تحكم به في كل صورة من صورها"، لذلك كانت المعرفة بعلم النحو العربي أمر ضروري إذ لابد لكل عربي مسلم أن يستقيم لسانه أثناء الحديث والقراءة والتكلم بلغة صحيحة وسليمة والتخلص من اللحن.

1. مفهوم النحو:

1.1. لغة: جاء في مقاييس اللغة: " النون والحاء والواو كلمة تدل على القصد نحوت نحوه، ولذلك سمي نحو الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب يتكلم به"[28].

كما جاء في لسان العرب: " (نحا) بمعنى النحو وهو إعراب الكلام العربي، والنحو القصد والطريق يكون ظرفا واسما، نحاه ينحوه وينحاه نحوا وانتحاه، يقول الجوهري نحوت نحوك أي قصدت قصدك، وعند ابن السكيت نحا نحوه إذا قصده،

---

[27]. التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، دت، ص 5.

[28]. مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (نحا ونحو)، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، م5، ص403.

ونحا الشيء ينحاه ينحوه إذا حرفه، ومنه سمي النحوي لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب"[29].

نستنتج من خلال هذان التعريفان اللغويان أن أظهر معاني النحو لغة وأكثرها تداولا هو القصد، وهو أوفق المعاني اللغوية بالمعنى الاصطلاحي.

1. 2. اصطلاحا: عرفه ابن جني (ت392هـ) بقوله: " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها، رُدّ به إليها"[30].

وقال ابن يعيش(ت 643هـ): النحو قانون يتُوصَّلُ به إلى كلام العرب"[31]

وعرّفه الشريف الجرجاني(ت 816هـ) في كتابه التعريفات: " علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده"[32].

يتضح من خلال هذه التعاريف الاصطلاحية أن الجرجاني قد قدم تعريفا كاملا إذ تحول فيه مفهوم النحو من محاكاة كلام العرب إلى العلم بقوانين هذا الكلام.

2. واضعوا النحو:

لقد اختلفت الروايات التي ذكرت في كتب تاريخ اللغة في أول من وضع علم النحو، فمن العلماء من يرجعه إلى "علي بن أبي طالب" (رضي الله عنه) ومنهم من يرجعه إلى "أبي الأسود الدؤلي" ويذكر معهم نصر بن عاصم الليثي(ت 89هـ) وعبد

---

[29]. لسان العرب ابن منظور، مادة (نحا) دار صادر، بيروت، ط1، دت، م 14، ص214.

[30]. الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، ج1، ص34.

[31]. شرح المفصل، ابن يعيش، تح: إميل يعقوب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص66.

[32]. التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة رياض الصلح، لبنان، دط، 1980، ص 259، 260.

الرحمان بن هرمز(ت 148هـ)[33]، لكن أغلب الروايات ترجعه إلى أبي الأسود الدؤلي(ت 69هـ) وحده، حيث قال ابن سلام الجمحي(ت 231هـ): " كان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبوالأسود الدؤلي، وإنما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب"[34]، وعنه أخذ ميمون الأقرن (ت بعد 100 هـ) وعنبسة الفيل(ت 100هـ) وعبد الله بن أبي إسحاق(ت117هـ)[35].

3. دوافع ظهور النحو:

تبين لنا من الروايات التي تحدثت عن وضع "أبي الأسود الدؤلي" لبعض أبواب من النحو، وعن وضع نقط المصحف أن الدافع إليهما ما سمعه إبنة الأسود أو أحد أولي الأمر من المسلمين من قراءات قرآنية أو عبارات لحن الناطقون بها فحرضهم ذلك على البحث عن وسائل تحفظ كتاب الله وتحميه من التحريف، ولم يكن الحفاظ على القرآن هو الدافع الوحيد إلى التفكير في وضع قواعد وأصول لحماية اللغة وضبطها، وإنّما كانت هناك دوافع أخرى تضافرت جميعا على القيام بهذا العمل الجليل وأوضح هذه الدوافع[36]:

1.3. الدافع الديني: وهو الدافع الرئيس والسبب المباشر الذي أدّى إلى التّفكير في وضع ما يسمى بعلم العربية على اختلاف فروعه وعلومه من أصوات ولهجات ومعجمات وغريب وصرف ونحو، فقد كانت خشية المسلمين على كتابهم أن يصيبه اللحن في قراءته أو التصحيف في أحرفه فيؤدي ذلك إلى تحريف آياته وتغيير المفهوم منها وبذلك تتغير الأحكام المأخوذة منه والمبنية عليه ويصبح المفهوم من

---

[33] . ينظر: طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ص28، 29.

[34] . سبب وضع العربية، السيوطي، تح: مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، ط1، 1988، ص57.

[35] . المدارس النحوية، التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص 8.

[36] . المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، اربد، ط3، 2001، ص50.

الآية كفرا وهو إيمان أو حراما وهو حلال، ولهذا انصرف هؤلاء العلماء إلى بذل الجهود في جمع اللغة ورواية الأشعار والغريب تصنيف هذه المادة اللغوية، والاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم وضبط نصوصه وتوجيه قراءاته على ما يرد في كلام العرب من إمالة وإدغام ومد وهمز وما إليها.

2.3. الدافع الاجتماعي: ويأتي هذا الدافع مكملا للدافع السابق ومرتبطا به أشد الارتباط وأوثقه، فقد كانت البيئات الإسلامية كافة تغص بالقوميات المختلفة التي كانت تسكن في البلاد المفتوحة أو التي هاجرت إليها بعد الفتوح الإسلامية ولاسيما البصرة التي كثرت فيها الأجناس لوقوعها على الطريق الموصلة إلى الهند والصين وبلاد فارس شرقا والأحباش وغيرهم غربا، وانتشرت نتيجة تجمع هذه القوميات المختلفة لغات متعددة أثرت في ألسنة العرب الذين يخالطونهم في شتى مجالات الحياة فأخذت تنحرف عن اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم والعرب الفصحاء فخشي علماء المسلمين على لغة القرآن ان يصيبها التحريف نتيجة هذا الاختلاط ولكثرة الداخلين في الإسلام من الذين يؤدي بهم جهلهم باللغة إلى الخطأ في قراءة القرآن فأخذوا يبذلون الجهود قي سبيل ضبط اللغة وإبعاد اللحن والخلل عن ألسنة العرب وتصحيح ألسنة غيرهم.

3.3. الدافع اللغوي القومي: كان في البلاد العربية عند نشوء اللحن ووقوعه في اللغة العربية ثلاث لغات متداولة:

أ. اللغة المحكية في الحواضر حتى نهاية القرن الأول أو اللغة المثالية وهي التي تسمى "اللغة الأدبية" لغة الشعر والخطب والمواعظ وما إليها من فنون الأدب وهذه تتقيد بالإعراب وضوابطه فلا تخل بشيء منه، ولا تستخدم الظواهر اللهجية الضعيفة

والمتركة كالكشكشة والعجعجة والعنعنة[37] وما إليها، وهذه هي التي نزل بها القرآن الكريم.

ب . لغة الحواضر المحكية بعد القرن الأول للهجرة وهي التي كانت تستخدم في مكة والمدينة والطائف والحيرة وأطراف الشام، وهذه ليست على مستوى واحد وإنما تختلف بحسب حظوظها من الاختلاط بالقوميات الأخرى. وقد أدى اختلاط لغات الحواضر بلغات القوميات المختلفة وغيرها إلى فسادها وبدا ذلك في التخفف من بعض قيود الإعراب وظواهره، لذلك أصبحوا يرسلوا أولادهم إلى البادية لتلقي اللغة الفصيحة والتمرن عليها بالممارسة والاستعمال كي ينشؤوا فصحاء سليمي النطق. ولما جاء الإسلام ارتفعت منزلة اللغة العربية الفصيحة في عيون أصحابها وبدؤوا يخافون عليها من التحريف والفساد، وأخذوا يبذلون جهودهم في سبيل إحصاء الظواهر الموجودة في اللغة المثالية وتحديدها وضبطها بقواعد وأصول يتبعها من بعد الفصاحة، ولكي لا تضيع اللغة العربية التي هي عماد القومية العربية ورمز وجود العرب الذين نزل بلغتهم القرآن الكريم الذي رفع من منزلة اللغة العربية وقوى القومية العربية وبعث فيها العزة والكرامة التي يجب أن يحافظ عليها بالمحافظة على هذه اللغة من الانحلال في لغات القوميّات الأخرى.

4. مراحل نشأة النحو العربي:

إن وصول النحو العربي إلى الصورة التي وصل إليها قد كلف الكثير، فقد بُذل في سبيل تقعيده مجهودات بشرية تفوق الوصف، وتعاقب على صنعه وإنتاجه أجيال، وقد مرّ ذلك بأربعة مراحل تمثلت في مرحلة النشأة، ومرحلة التطور، مرحلة النضج ومرحلة التصنيف والتبويب.

---

[37] . الكشكشة: أن يجعلوا بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا فهم يقولون (رأيتكش) وهي لغة ربيعة. العجعجة: أن يجعلوا الياء المشددة جيما فهم يقولون (تميمج) في تميمي، وهي لغة قضاعة. العنعنة: أن يجعلوا الهمزة المبدوء بها عينا فهم يقولون (عنك) في (أنك) في لغة قيس وتميم.

1.4. مرحلة النشأة:

ومن علماء هذه المرحلة: أبو الأسود الدؤلي(ت 69هـ) باعتباره المنبع الأساس، وعنبسة الفيل، ميمون الأقرن، يحيى بن يعمر(ت 129هـ)ونصر بن عاصم الليثي(ت 89هـ)، ومن أبرز سمات هذه المرحلة:

. القواعد التي قعدت في هذه المرحلة كانت قواعد مجملة، إضافة إلى أنها لم تأخذ شكلها العلمي الممنهج.

. معظم علماء هذه المرحلة كانوا من قراء الذكر الحكيم.

. جل القواعد وضعت بدافع معالجة الأخطاء التي تتعلق بقراءة كتاب الله ومن ثم أخطاء عامة الناس.

. كان جل اعتمادهم على نقل المسموع لأن فكرة القياس لم تتبلور عندهم آنذاك.

. كانت كتبهم مزيجا من النحو والصرف والأدب[38]، حيث يلاحظ أن الصرف في هذا الطور كان مندرجا تحت الإعراب، وكان يطلق عليهما اسم العربية أو النحو، "لأن علوم العربية لم تنفصل في أول عهدها ولم تتحدد مباحثها"[39].

2.4. مرحلة التطور:

ومن أبرز علماء هذه المرحلة: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117هـ)، وعيسى بن عمر الثقفي(ت149هـ)، أبو عمرو بن العلاء (ت 154هـ) والأخفش

---

[38]. نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، ط2، 1995، ص 38،39.

[39]. دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، محمد خليفة الدناع، ص27.

الأكبر(ت 177هـ)، وكانت هذه المرحلة أوفر حظا من سابقتها، حيث ازدادت فيها المباحث النحوية ، فمن أبرز سمات هذه المرحلة[40]:

. بدأ التجريد للقياس وتطبيقه على القراءات القرآنية والشعر العربي.

. بدأ التعليل لقواعد النحو، والتأويل لما يخالف القاعدة.

. ظهور المناظرات كالتي كانت بين أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن إسحاق.

. تتبع القراء وتخطئتهم بما يقولون.

. لم يتركوا أثرا مكتوبا، سوى ما روي عن كتابي (الجامع) و(الإكمال) لعيسى بن عمر.

كلها سمات فتحت الباب ومهدت الطريق لمرحلة النضج.

3.4. مرحلة النضج:

وقد مثل هذه المرحلة كل من الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175هـ) و يونس بن حبيب(ت182هـ) وسيبويه(ت 180هـ) هؤلاء الذين أقاموا بناء التقعيد وشيدوا صرحه، ومن أبرز سمات هذه المرحلة[41]:

. وضع المصطلحات النحوية والصرفية التي يستخدمها النحاة إلى يومنا هذا.

. تحديد أبواب النحو والصرف، وتقسيم القواعد بحسب كل باب على حدة.

. تسمية علامات الإعراب وحركات البناء، الأصلية منها والفرعية.

. ابتكار الميزان الصرفي، لمعرفة أوزان الكلم، وتحديد الحروف الأصلية والزائدة.

---

[40] . النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله، صلاح الراوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2003، ص 159.

[41].المرجع نفسه، ص 192

. بدء وضع المعاجم اللغوية، لتفسير الغريب من كلام العرب.

. إكمال وضع أصول النحو كالسماع والقياس والإعلال والتبديل.

ففي هذه المرحلة ظهرت مباحث الصرف ضمن كتب النحو حيث اتجهت مباحث العلماء إلى مراعاة أحوال الأبنية بعد أن غلب عليهم الاهتمام بأواخر الكلم، حيث أسس سيبويه (180هـ) في كتابه تبويب واضح شمل أبواب الصرف من دون أن يفرده في كتاب مستقل، كما نشط علماء مدرسة الكوفة منهم "معاذ بن مسلم الهراء" (187هـ) الذي أكثر من مسائل التصريف واتسع فيها وأفردها بالبحث لولوعه بالأبنية، وتكلم عنه مستقلا عن فروع العربية مما جعل عددا من المؤرخين ينسبون وضع هذا العلم إليه.

ثم جاء بعده "أبو جعفر الرؤاسي"(187هـ) وصنف كتبا مستقلة في أبواب من التصريف منها: كتاب التصغير وكتاب الوقف والابتداء الكبير والصغير[42]. فقد قطع التصريف شوطا كبيرا قارب فيه من الاكتمال وإن كان مازال يندرج تحت علم النحو.

4.4. مرحلة التصنيف والتبويب:

اختلفت هذه المرحلة عن المراحل التي سبقتها بكثرة علمائها، ومنهم الأخفش الأوسط (215هـ)، الجرمي(225هـ)، الكسائي(189هـ)، الفراء(207هـ)، المازني(249هـ)، ثعلب(289هـ)، الساجستاني(255هـ) والمبرد(286هـ)، ومن أهم سمات هذه المرحلة[43]:

. الاعتناء بكتاب سيبويه دراسة ونقدا.

. كثرة التصنيف حيث بلغ عدد مصنفات الفراء لوحده تسعة عشر كتابا.

---

[42]. الفهرست، ابن النديم، ص102.

[43]. النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله، صلاح الراوي، ص 343.

. اكتمال المصطلحات النحوية.

. ظهور المذاهب (بصري وكوفي).

. بدأ علم التصريف يأخذ منحى الاستقلال وأصبح له أنصار يحرصون على رعايته، وتتبع مسائله وتحديد مجاله، فأكملوا ما فات وبسطوا وهذّبوا بعضا من مسائله، كما أخذوا في شرح ما أجمل وتوضح ما خفي وغمض.

وقد كان أول مؤلف وصل إلينا جامع لمباحث التصريف مستقل عن النحو، هو كتاب "التصريف" لأبي عثمان المازني (249هـ)، ثم المبرد (285هـ) في كتابه المعنون بـ"التصريف"، وهكذا توالت المصنفات في مجال الصرف كعلم مستقل، وفي القرن الرابع ألف الرماني (384هـ) كتاب سماه "التصريف" أيضا، وألف أبو علي الفارسي (377هـ) "التكملة في التصريف"، وكذا كتاب "التصريف الملوكي" لابن جني (395هـ) هذا في القرن الرابع الهجري.

أما في القرن السابع الهجري، فألف ابن الحاجب (646هـ) كتابه وسماه "الشافية في التصريف"، و"الكافية الشافية" لابن مالك (672هـ)، و"الممتع في التصريف" لابن عصفور (696هـ).

5- أهميّة علم النّحو:

علم النّحو العربي من العلوم الّتي تصدّرت وسبقت العلوم العربية قاطبة من أجل الدّفاع عن القرآن الكريم، وليس ذلك فحسب وإنّما كفاه ذلك شرفاً، لذلك فقد أجمع جمهور العلماء على أهميّته والحاجة إليه، فهو "مسلَّمٌ إليك أنّه تجب

معرفته"، لكلّ أبناء العربية، لأنّ العربي « إن لم يكن عارفاً بعلم النّحو، فإنّه يفسد ما يصوغه من الكلام، و يختل عليه ما يقصد من المعاني»[44].

وعن علم النّحو يقول "ثعلب" (ت 291ه):«تعلّموا النّحو، فإنّه أعلى المراتب»[45]، و يؤكد "عبد القاهر الجرجاني" (471ه) إمام البلاغيين العرب على أهمية النّحو قائلا: «لا يجدون بُداً من أن يعترفوا بالحاجة إلى النّحو، وأنّ من ينكره ينكر حسّه، و يكون مغالطاً في الحقائق نفسه...و لذا لَمْ تأبَ صحة هذا العلم و لم تنكر مكان الحاجة إليه في معرفة كتاب الله» و زيادة على حاجتنا إلى علم النّحو لمعرفة كتاب الله و سنة رسول الله، فإنّ النّحو ضروري لتناول أي علم من علوم العرب، و ذلك لأنّه لابدّ لمن شرح الله صدره لتناول العلم من آلة يستعين بها في موارده و مصادره، وراحلة تصلح لقطع بدوه و حاضره [46]، فكلّ علم من العلوم له حكمة يبدأ منها، وقواعد يبنى عليها، و بعد ذلك ينشر و يمتد في خدمة الإنسان و تسخير الحياة من أجله، وعلم النّحو له حكمة واضحة في تسخير اللّغة العربية التي تحفظ جميع العلوم و تنقلها عبر الأجيال والأماكن لتعيش البشرية مستفيدة لتواصل الخبرات البشرية الضرورية لإقامة الحضارات و نقلها من جيل إلى جيل آخر .

فمعرفة الإعراب الّذي يبين به الخطأ من الصواب ويفهم به كلام الله وأحكام سنن رسوله، وتكمن حاجة المتعلم والعلوم إلى علم النّحو إلى أنّه علم قياسيّ

---

[44] النّحو العربي عماد اللّغة والدّين، عبد الله أحمد جاد الكريم، ص 25.

[45] مجالس ثعلب،لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تح : عبد السّلام محمد هارون، ج1، دار المعارف، مصر، ط 2، ص 310 .

[46] .النّحو العربي عماد اللّغة و الدّين ، عبد الله أحمد جاد كريم ،ص 25 .

وميسّر لأكثر العلوم، لا يقبل إلاّ ببراهين وحجج[47]. وعليه فللنّحو فائدة كبرى في فهم الكلام فهو يصلح اللسان ويزيد البيان تبياناً.

وخلاصة القول: فقد جهد اللغويون العرب الأقدمون في وضعهم علم اللغة وبيانها وشرحها، ومنها علما النحو والصرف، وقد أقاموها على أسس من نظرياتهم اللغوية، فوصل إلينا العلمان تراثا ضخما نقرأ فيه جهودا كبيرة وعقولا فذة، وبخاصة جهود المجتهدين الأوائل أمثال الخليل وسيبويه والكسائي والفراء والمازني وثعلب والمبرد وغيرهم من النحويين الذين اتصف منهجهم بالوصف القائم على الاستقراء.

[47]. النّحو العربي عماد اللّغة و الدّين ، عبد الله أحمد جاد كريم ، ص 25.

المحاضرة الخامسة:

الجهود النحوية عند العرب القدامى (2).

. المدارس النحوية .

1. المدرسة البصرية

2. المدرسة الكوفية

تمهيد:

المدرسة اسم مكان يطلق على مكان الدرس من الفعل (درس) وهي في مفهومها اللغوي تعني التعلم والحفظ، جاء في لسان العرب: "درست: أي تعلمت، ودرست الكتاب أدرسه درسًا أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علي"[48].

أما في الاصطلاح النحوي يعرفها أحمد مختار عمر بقوله: "وجود جماعة من النحاة بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولا بد أن يكون الرائد الذي يرسم ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره والدفاع عنه"[49].

وعليه فالمدرسة النحوية تطلق على مجموعة من النحاة ينضوون تحت إطار موحد في التفكير والمنهج، وتكون لهم مرجعية واحدة يصدرون عنها في دراسة النحو، ولكي تضمن هذه البوتقة صفة المدرسة لا بد أن يكون لها أتباع مع مرور الزمن.

والمدارس النحوية هي اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي واختلفت مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية، نسب كل اتجاه منها إلى إقليم عربي معين، فكانت هناك مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد وهكذا.

1- مدرسة البصرة النحوية:

---

[48]. لسان العرب، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير وزملاؤه، دار المعارف، القاهرة، ج 16، مادة (درس)، ص1360.

[49]. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1978، ص90.

البصرة في مفهومها اللغوي هي "الأرض الغليظة وحجارة رخوة فيها بياض وبها سميت البصرة...والبصرة الأرض الحمراء الطيبة، وبصرة مدينة في عراق العرب، قيل هي معرّب (بس راه) بالفارسية أي كثير الطرق والنسبة إليها بصريّ"[50].

ومن ثمة فالبصرة مدينة عراقية معروفة حاليا بأرض بغداد، حيث كان لموقعها الجغرافي "المحاذي لبادية العراق، وقربها إلى العرب الأقحاح، أثر في تميزها اللغوي والنحوي، أما مجالس العلم والمناظرة ووفود الشعراء إلى سوق المربد فكان له أيضا أثرا كبيرا، حيث يأخذ اللغويون عن أهل اللغة ويأخذ عنهم ما يصحح قواعدهم"[51]، لذلك كانت أسبق مدن العراق اشتغالا بالنحو، حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة، فالبصرة هي التي شادت صرح النحو ورفعت أركانه[52]، بينما كانت الكوفة مشغولة بقراءات الذّكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار و قلّما نظروا في قواعد النّحو إلاّ قليلا من علمائها ممّن تتلمذوا على نحاة البصرة، وفي هذا الصدد يقول ابن سلاّم الجمحي:" كان لأهل البصرة في العربية قدمه، وبالنّحو و لغات العرب و الغريب عناية"[53]، ويقول ابن النديم في الفهرست: "إنما قدمنا أهل البصرة أولا، لأن علم العربية عنهم أخذ"[54].

كما كان للعامل الثقافي المتمثل في قرب سوق المربد من البصرة أثر واضح في سبق البصرة للاشتغال بالنحو، حيث كانت تنعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة،

---

[50]. محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة ساحة رياض الصلح، بيروت، دط، 1987، ص 42.

[51]. المفيد في المدارس النحوية، إبراهيم السامرائي، دار المسيرة، عمّان، الأردن دط، 2008، ص 24، 25.

[52]. المفيد في المدارس النّحوية ابراهيم عبود السامرائي، ص 29.

[53]. المدارس النّحوية، إبراهيم عبّود السامرائي، ص 45 .

[54]. المدارس النحوية، إبراهيم عبّود السامرائي، ص45.

ويفد إليها الشعراء ورواياتهم، فهي تشبه سوق عكاظ في الجاهلية، ينزل فيها العلماء والأدباء والإشراف للمذاكرة والرواية والوقوف على ملح الأخبار وكان اللغويين يأخذون عن أهله، ويدونون ما يسمعون فيأخذ عنهم النحويون ما يصحح قواعدهم[55].

1.1. أعلام مدرسة البصرة:

الطبقة الأولى: وتضم نصر بن عاصم الليثي (89هـ)، عنبسة الفيل (100هـ)، يحي بن يعمر العدواني (129هـ)، وعبد الرحمان بن هرمز(117هـ).

الطبقة الثانية: ويمثلها عبد الله بن اسحاق الحضرمي(117هـ)، عيسى بن عمر الثقفي(149هـ) وأبو عمرو بن العلاء (154هـ).

الطبقة الثالثة: يمثلها الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) ويونس بن حبيب الطبي(182هـ).

الطبقة الرابعة: وشملت سيبويه (180هـ) واليزيدي (202هـ) وأبو زيد الأنصاري (215هـ) والأصمعي (216هـ).

الطبقة الخامسة: ويمثلها الأخفش الأوسط.

الطبقة السادسة: وممثلوها هم الجرمي (225هـ)، التّوزي (230هـ)، المازني (247هـ)، أبو حاتم السجستاني (250هـ) والرياشي (257هـ).

---

[55]. المدارس النحوية، إبراهيم عبّود السامرائي، ص25.

الطبقة السابعة: المبرد (285هـ) والسيرافي (368هـ)[56].

2.1. خصائص منهج المذهب البصري:

أ. اعتمد علماءُ البصرة في الدرس اللغوي على السماع اعتمادًا أساسًا، وعدّوه المصدر الأول للاحتجاج اللغوي، فحرصوا على تلقي اللغة من أفواه العرب الفصحاء الذين سلمت ألسنتهم من اللحن والاختلاط. ولهذا كانوا يشترطون في المأخوذ عنه الفصاحة الخالصة، ويُضيّقون دائرة الاحتجاج، فلا يقبلون إلا ما ثبت سماعه عن قبائل معيّنة اشتهرت بسلامة اللغة.

وقد تمثّل منهجهم في الارتحال إلى البوادي ومخالطة الأعراب، والاستماع إلى كلامهم في الشعر والخطابة والحديث اليومي، ثم تدوين ذلك وضبطه ضبطًا دقيقًا. كما كانوا ينتقون ما يسمعونه، فيعرضونه على القياس، ولا يقرّون من الشواهد إلا ما وافق القواعد العامة للغة، مما جعل منهجهم يتسم بالصرامة والدقة.

وإلى جانب السماع، اعتمد البصريون على القياس اعتمادًا كبيرًا، فجعلوه أصلًا من أصول الاستدلال بعد السماع، فإذا لم يجدوا نصًا مسموعًا رجعوا إلى القياس المطّرد، ورفضوا الشاذّ والقليل الاستعمال. لذلك اتّسم مذهبهم بالميل إلى التقعيد والتجريد، والسعي إلى إقامة نظام لغوي منسجم، وهو ما كان له أثر بالغ في استقرار القواعد النحوية وضبطها.

ب . يرى علماءُ البصرة أن اللغة لا تُفهم على أساس الجزئيات المتفرقة وحدها، بل لا بدّ من ردّ هذه الجزئيات إلى أقيسة عامة تضبط الاستعمال وتكشف عن

---

[56]. المدارس النحوية، إبراهيم عبّود السامرائي، ص47 وما بعدها.

القوانين الكامنة في كلام العرب. لذلك عملوا على وضع الأقيسة اعتمادًا على الكمّ الواسع من الكلام العربي المسموع، بعد استقرائه وتمحيصه، فجعلوا من القياس أداةً أساسية لتقعيد اللغة وتنظيمها.

وقد كان أول هذا المسموع وأوثقه كلامُ الله تعالى، إذ عدّوه أعلى مراتب الفصاحة والبيان، ومصدرًا يقينيًا لا يداخله شك، لأنه منزّه عن الخطأ والاضطراب، «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه». ثم ألحقوا به كلام النبي ﷺ، وكلام العرب الفصحاء من شعراء وخطباء، ما دام ثابت السماع صحيح الرواية. ومن خلال هذا الرصيد اللغوي الموثوق، استنبطوا القواعد العامة، وصاغوا منها أقيسة يُرجَع إليها في تفسير الظواهر اللغوية.

ولم تكن هذه الأقيسة عارضة أو متغيرة، بل جعلوها قائمة على أصول ثابتة أرسى دعائمها الخليل بن أحمد الفراهيدي، تقوم على الاطراد والانسجام والاقتصاد في القواعد. لذلك لم يكونوا يغيرون القياس لمجرد ورود مسموع جديد يخالفه، بل كانوا يؤولون هذا المسموع أو يحكمون عليه بالشذوذ، ما دام لا ينسجم مع الأصل العام. وبهذا المنهج حافظوا على ثبات النظام اللغوي ومنعوا تفككه، وجعلوا القياس ميزانًا يوجّه فهم المسموع، لا تابعًا له، الأمر الذي أكسب المذهب البصري طابعًا علميًا صارمًا وأثرًا عميقًا في بناء النحو العربي.

ج . وقف علماءُ البصرة من القرآن الكريم موقفَ تعظيمٍ واحتجاجٍ ودفاع، فعدّوه الأصل الأعلى في الاستشهاد اللغوي والنحوي، وقدّموا نصوصه على غيرها من

كلام العرب شعرًا ونثرًا. ولم ينظروا إلى ما يرد فيه من تراكيب أو صيغ على أنه محلّ تشكيك أو تأويل قسري، بل جعلوه ميزانًا يُقاس عليه، لا مادة تُقاس بغيرها.

وانطلاقًا من هذا الموقف، دافعوا عن كل ما ورد في الكتاب العزيز من ظواهر لغوية، فاعتبروا أن ما جاء في آياته الكريمة فصيحٌ صحيح، وإن خالف بعض ما اشتهر من الاستعمال أو القياس الظاهر. ولذلك عمدوا إلى توسيع القياس استنادًا إلى النص القرآني، فجعلوا ما ورد فيه أصلًا يُقاس عليه، لا استثناءً يُعتذر له. فكل تركيب أو صيغة ثبتت في القرآن صارت عندهم حجة قائمة بذاتها، تُدرج ضمن نظام اللغة وقواعدها.

كما أولوا القراءات القرآنية المتواترة عناية خاصة، فاعتبروها جميعًا صحيحة من جهة اللغة، لأنها منقولة نقلًا قطعيًا عن أفصح من نطق بالضاد، ولأنها تمثل وجوهًا متعددة للاستعمال العربي الصحيح. فكانوا يقيسون على هذه القراءات، ويستنبطون منها القواعد، ويردّون بها على من أنكر بعض الظواهر أو عدّها شاذة. وبهذا المنهج ثبتوا مكانة القرآن الكريم في الدرس اللغوي، وجعلوه مرجعًا حاكمًا في بناء القواعد، وأسهموا في الدفاع عن فصاحته وثراء أساليبه، مؤكدين أن اختلاف وجوهه لا يدل على اضطراب، بل على سعة العربية ومرونتها. [57].

ومما تجدر الإشارة إليه في منهج البصريين هو موقفهم الدقيق والمتوازن من السماع والقياس، إذ لم يُقدّموا أحدهما تقديمًا مطلقًا في جميع الأحوال، بل جعلوا لكلٍّ منهما مجالَه ووظيفتَه ضمن نظام لغوي محكم. فقد كانوا يرون أن السماع هو

---

[57]. ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001، ص 76.77.

الأصل الأول الذي تُبنى عليه القاعدة، لأنه يمثل اللغة في صورتها الحية التي نطق بها العرب الفصحاء، ولا يُلتفت إلى القياس إلا بعد ثبوت المسموع أو غيابه.

فإذا اجتمع السماع والقياس في الظاهرة اللغوية الواحدة، أي إذا ورد الاستعمال المسموع موافقًا للقياس العام، أخذوا بهما معًا، وعدّوا ذلك دليلًا على اطراد القاعدة وقوتها، مما يعزز ثباتها وشمولها. أما إذا اختلف السماع والقياس، بأن ورد استعمال مسموع يخالف القياس المطّرد، فإنهم كانوا يُقدّمون السماع، فيقرّون الظاهرة كما وردت عن العرب، ويفصلونها عن القياس، فلا يقيسون عليها غيرها، ويجعلونها من باب المسموع المحفوظ لا القاعدة العامة.

وإن لم يجدوا في الظاهرة سماعًا صريحًا يعتمد عليه، لجؤوا إلى القياس، فقاسوها على نظائرها وأمثالها مما ثبت سماعه واستقر قياسه، التزامًا منهم بمبدأ الاطراد والانسجام في اللغة. وبهذا المنهج جمع البصريون بين المحافظة على أصالة اللغة كما وردت في السماع، وبين تنظيمها وتقعيدها بالقياس، دون إفراط أو تفريط، فأسسوا مدرسة لغوية اتسمت بالدقة والصرامة، وكان لها أثر بالغ في استقرار الدرس النحوي العربي.[58]

2. مدرسة الكوفة النحوية: يرى الكثير من الباحثين أن مدرسة الكوفة تأخرت في النشأة عن مدرسة البصرة بنحو قرن من الزمن وذلك راجع لعدّة عوامل منها: بعدها عن طريق التجارة ومواطن تبادل الثقافات، وطبيعة الحياة العسكرية بها، وكذلك انشغال أهلها بالدّراسات الدّينية المتمثلة في الفقه وأصوله ومقاييسه وفتاواه،

---

[58] .ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثيص 78.

وبالقراءات وروايتها، ورواية الشعر و الأدب[59]، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي، وهو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي والإسلامي وهم "عاصم بن أبي النجود الضرير الكوفي (127هـ) وحمزة بن حبيب الزّيات (156هـ) وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي (189هـ)[60]، وفي مراحل متأخرة حاول رواد هذه المدرسة البحث في قضايا النّحو، بعدما جفّت روح البحث عندهم في الفقه، و لكنّهم وجدوا المدرسة البصريّة قد أغنت اللّغة بوضع الأصول و الحدود، فانصب جهدهم على أن يبرزوا في ساحة البحث بمخالفة البصرة في بعض الفروع والمصطلحات و في العامل و المعمول، فأحبوا أن يخالفوا البصريين و أن يكوّنوا نحواً خاصاً، فاعتنوا بما لم يلتفت البصريون إليه و قبلوا كلّ الأشعار الّتي وصلتهم و أخذوا عن العرب كلّهم بدوهم و السّاكنين منهم في الحضر، وأمام هذا ما كان عليهم إلاّ أن يأتوا بعكس ما جاء به البصريون[61].

1.2. أعلامها:

1. معاد بن مسلم الهرّاء (187هـ): من قدماء النحويين، أخذ عنه الكسائي[62]، وقيل أنّه اشتغل بالأبنية إلى أن غلبت عليه الناحية الصرفية حتى عدّه المؤرخون الواضع للصرف.

---

[59] ينظر: النّحو العربي: نشأته، تطوره ، مدارسه، رجاله ،صالح روّاى، ص 378 .

[60] .ينظر: الإقناع في القراءات السبع، عبد العالي سالم مكرم، ص125.138.151.

[61] .في أصول النّحو، صالح بلعيد، دارهومة، الجزائر، ط2، 2008 م، ص 149 .

[62] .نزهة الألباب في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص50.

2. أبو جعفر الرّؤاسي (187هـ): أخذ عن عيسى بن عمر و"كان ممن عقدت له حلقة تدريس النحو في المسجد الجامع بالكوفة"[63] ، يقول عنه ابن درستويه (347هـ): "زعم أبو العباس بن يحي بن ثعلب أنّ أوّل من وضع من الكوفيين كتابا في النحو الرؤاسي وكان الرؤاسي أستاذ الكسائي"[64]، ويضيف السيوطي: "وهو أستاذ الكسائي والفراء وكان رجلا صالحا"[65]، وقد صنفت له عدّة كتب منها: كتاب "معاني القرآن" وكتاب "الوقف والابتداء" و"الكبير والصغير" و"التصغير"[66].

3. الكسائي (189هـ): هو علي بن حمزة من أصل فارسي لُقب بالكسائي لأنه كان يلبس كساء أسودا ثمينا في مجالسه، ويقال: بل لُقّب بذلك لأنه أحرم في كساء، أخذ عن أبي جعفر ومعاذ الهرّاء والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب، وكان فطنا ذكيا فرأى أنه لن يبرع في قراءة الذكر الحكيم إلا إذا عرف إعرابه، له كتب عديدة منها: كتاب "معاني القرآن" و"مختص في النحو" وكتاب "القراءات"[67]، وغيرها.

4. الفراء (207هـ): هو يحي بن زياد عبد الله من أصل فارسي، تلمذ للكسائي، كان أبرع الكوفيين في علمهم، فقال عنه ثعلب: " لولا الفراء لما كانت اللغة، لأنه

---

[63]. مراكز الدراسات النحوية، عبد الهادي الفضلي، ص45.

[64]. نزهة الألباب في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص50.

[65]. بغية الوعاة، ج1، ص28.

[66]. نزهة الألباب في طبقات الأدباء، ابن الأنباري، ص56.

[67]. نفسه، ص67.

خلصها وضبطها، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تنازع ويدّعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب"[68].

5. ثعلب (291هـ): هو أبو العباس أحمد بن يحي المعروف بثعلب، يغلب أن يكون فارسي الأصل، انكب على قراءة كتب الفراء منذ حداثته ولم يبق منها شيء إلا حفظه وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين[69]، وقد صنف مؤلفات كثيرة في النحو واللغة والقراءات والأمثال، سقط معظمها من يد الزمن، ولم يصلنا منها إلا كتابه "المجلس" وكتاب "الفصيح"[70].

2.2. خصائص منهج المذهب الكوفي:

أ. يُعدّ الاتساع في الرواية والقياس أبرز السمات التي ميّزت المدرسة الكوفية عن المدرسة البصرية، إذ انتهج الكوفيون منهجًا أكثر انفتاحًا في جمع المادة اللغوية والاحتجاج بها. فلم يقيّدوا الرواية بقبائل معيّنة ولا بفئة مخصوصة من العرب، بل وسّعوا دائرة الأخذ لتشمل جميع العرب بدويّهم وحضريّهم، ما دام اللسان عربيًا، سواء أكان المتكلم من أهل البادية أم من سكان الحواضر. وقد ترتب على هذا الاتساع كثرة الشواهد عندهم، ولا سيما في رواية الشعر والأمثال وعبارات الاستعمال اليومي.

---

[68]. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص131. 132.

[69]. المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص 179.

[70]. المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص226.

وعلى خلاف البصريين الذين اشترطوا الفصاحة الخالصة وضيّقوا مجال الاحتجاج، رأى الكوفيون أن اللغة أوسع من أن تُحصر في قبائل محدودة، وأن ما شاع استعماله بين العرب – وإن خالطه شيء من الاختلاف – يظل شاهدًا على سعة العربية وتنوّعها. لذلك قبلوا كثيرًا من الظواهر التي رفضها البصريون أو عدّوها شاذة، وأجازوا القياس عليها، الأمر الذي جعل مذهبهم أكثر مرونة وأقل صرامة في التقعيد.

وقد أثار هذا المنهج نقدًا من بعض علماء البصرة، الذين تفاخروا بدقة منهجهم في الأخذ عن البدو الخلّص، وعدّوا أنفسهم أوثق رواية وأصفى لغة، حتى قال بعضهم ساخرًا من الكوفيين: «نحن نأخذ اللغة من حَرَشَةِ الضِّباب وأَكَلَةِ اليَرابيع، وأنتم تأخذونها من أَكَلَةِ الشَّواريز وباعة الكواميخ»، في إشارة إلى أن الكوفيين يأخذون اللغة من عرب المدن الذين خالطوا العجم وتأثرت ألسنتهم.

ومع ذلك، فإن هذا الاتساع في الرواية والقياس أكسب المدرسة الكوفية غزارة في الشواهد وسعة في التفسير اللغوي، وأسهم في إبراز مرونة العربية وتعدّد وجوهها، فكان اختلاف المنهجين بين المدرستين عاملَ إثراءٍ للدرس النحوي، لا سببَ ضعفٍ فيه، إذ تكامل التشدد البصري مع التوسّع الكوفي في بناء التراث اللغوي العربي.)"[71].

ب . أمّا اتّساع الكوفيين في القياس، فقد ظهر بوضوح في موقفهم من الشواهد الشاذّة، ولا سيّما في الشعر، إذ لم يتشدّدوا في رفض ما خرج عن القياس المطّرد

---

[71]. المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص160.

كما فعل البصريون، بل اعتدّوا بهذه الشواهد وعدّوها صالحة للاحتجاج والتقعيد. فكلّ ما ثبت عندهم سماعه عن العرب، ولو كان قليل الورود أو مخالفًا لما استقرّ من الأصول العامة، أمكن أن يُتَّخذ أساسًا للقياس وبناء القاعدة.

وقد ترتّب على هذا المنهج أن توسّعت القواعد النحوية عندهم، وتعدّدت وجوه الإعراب والتفسير، بل وقع بينها أحيانًا نوع من الاختلاف والتضارب، نتيجة اعتمادهم على شواهد جزئية لا يعضدها الاستعمال الغالب. فبدل أن يُحصر الشاذ في دائرة المسموع الذي لا يُقاس عليه، كما هو شأن البصريين، رفعه الكوفيون إلى مرتبة الأصل، وأجازوا القياس عليه وتعميم حكمه.

ولهذا عبّر القدماء عن هذا الاتجاه بقولهم: «لو سمع الكوفيون بيتًا واحدًا فيه جوازُ شيءٍ مخالفٍ للأصول جعلوه أصلًا وبوّبوا عليه»، في إشارة إلى سرعة تعميمهم للحكم، واتخاذهم الشاهد الفرد قاعدة عامة. ويكشف هذا القول عن الفرق الجوهري بين المدرستين: فالبصريون يجعلون القياس حاكمًا على الشاذ، بينما يجعل الكوفيون الشاذّ موسّعًا لدائرة القياس.

ومع ما أُخذ على هذا المنهج من اضطراب في القواعد، فإن اتساع الكوفيين في القياس يعكس تصورهم الواسع للغة بوصفها نظامًا مرنًا يحتمل التنوع والاختلاف، ويؤكد أن الخلاف بين المدرستين لم يكن خلاف تضادّ، بل اختلاف مناهج ورؤى أسهم في إثراء الدرس النحوي العربي وتعدّد مسالكه التفسيرية.[72].

---

[72]. الاقتراح في النحو، السيوطي، دار البيروتي، دمشق، ط2، 2006، ص100.

وفي الأخير يمكن القول إنّ عمل المدرسة الكوفية بدا في نظر كثير من الدارسين أقلّ إحكامًا إذا قيس بعمل مدرسة البصرة، لا من حيث الجهد المبذول ولا من حيث غزارة الشواهد، وإنما من حيث المنهج العلمي المعتمد في التقعيد والاستنباط. فقد اتّسم منهج الكوفيين بسعة الأخذ في الرواية والقياس، وهو ما أتاح لهم ثراءً في المادة اللغوية وتنوّعًا في الشواهد، غير أنّ هذا الاتساع لم يكن دائمًا مصحوبًا بالدقة المنهجية والصرامة العقلية اللازمة لضبط القواعد.

إذ إنّ اعتمادهم على الشواهد القليلة أو الشاذّة، وتوسيعهم دائرة القياس بناءً عليها، أدّى في كثير من الأحيان إلى تعدّد القواعد واختلافها، بل إلى تعارض بعضها، مما أضعف الانسجام الداخلي للنظام النحوي عندهم. كما أنّ عدم التمييز الصارم بين المطّرد والشاذ، وبين ما يُقاس عليه وما يُقتصر فيه على السماع، جعل قواعدهم أقلّ استقرارًا وأشدّ عرضة للنقض والمراجعة.

وعلى خلاف ذلك، قامت مدرسة البصرة على منهج علمي أدقّ، يجمع بين السماع المنتقى والقياس المنضبط، ويؤسّس القاعدة على الكثرة والاطراد لا على القلّة والندور، مع اعتماد عقلٍ تحليليّ عميق يسعى إلى بناء نظام لغوي متماسك. ولهذا بدت المدرسة البصرية أكثر قدرة على إحكام القواعد وتوحيدها، وأكثر انسجامًا في تصوّرها لبنية اللغة.

ومع ذلك، لا يعني وصف عمل المدرسة الكوفية بالقصور التقليل من قيمتها العلمية، بل يُفهم في إطار المقارنة المنهجية بينها وبين المدرسة البصرية؛ إذ أسهمت الكوفية في توسيع آفاق الدرس اللغوي، وكشفت عن سعة العربية ومرونتها،

في حين تولّت البصرة مهمة الضبط والتقعيد. وبذلك تكامل المنهجان في خدمة النحو العربي، وإن تميّز أحدهما بقدر أوفر من الدقة والعمق في التفكير العلمي.

وصفوة القول أنّ السرّ في أن عقل البصرة كان أعمق وأدق من عقل الكوفة، وكان أكثر استعدادا لوضع العلوم إذ سبقتها في الاتصال بالثقافات الأجنبية، وبالفكر اليوناني وما وضعه أرسطوطاليس من المنطق وحدوده وأقيسته، ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال نشاط المباحث الدينية في البلدتين، فقد عنيت الكوفة بالفقه بينما عنيت البصرة بعلم الكلام.

فعقل كل من البلدتين كان مختلفا، عقل مصبوغ بالصيغة الفلسفية المنطقية، وعقل لا يرتفع إلى هذه المنزلة إلا في حدود ضيقة، لذلك كان طبيعيا أن لا يصاغ الفقه الحنفي الكوفي صياغة علمية دقيقة، بينما يصاغ النحو في أدق صورة علمية ممكنة[73].

[73]. المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص22.

المحاضرة السادسة

الجهود النحوية عند العرب القدامى (3)

ـ المدارس النحوية ـ

3ـ المدرسة البغدادية

4ـ المدرسة الأندلسية

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

تمهيد:

بعد أن تناولنا في المحاضرة السابقة نشأة مدينتي البصرة والكوفة، ومكانتهما العلمية، ودورهما في احتضان الدرس اللغوي والنحوي في العصر الإسلامي المبكر، ننتقل في هذه المحاضرة إلى الوقوف على ثمرات هذا الحراك العلمي، والمتمثلة في تشكّل مدرستين نحويتين كبيرتين، اختلفتا في مناهجهما وأصولهما في النظر إلى اللغة.

فبرغم وحدة الهدف المتمثّل في خدمة العربية وضبطها، تباين منهج البصريين والكوفيين في الاعتماد على السماع والقياس، وفي الاحتجاج بالشواهد وتوسيع دائرة القواعد أو تضييقها. ومن هنا تسعى هذه المحاضرة إلى إبراز ملامح المنهج الكوفي في مقابل المنهج البصري، وبيان أثر هذا الاختلاف المنهجي في بناء القاعدة النحوية وتقويم نتائج كل مدرسة.

1. المدرسة البغدادية النحوية:

نشأ النحو في بغداد متأثرًا بتجارب كل من البصرة والكوفة، وتطور على يد علماء هذين المركزين اللغويين، حتى بلغ مرحلة متقدمة من النضج والثبات، مع احتفاظ البصرة بالريادة في الميدان، رغم المنافسة القوية التي مارستها مدرسة الكوفة.

عندما تولى أبو العباس أحمد بن يحيى قيادة علماء الكوفة، ومحمد بن يزيد (المبرد) قيادة علماء البصرة، انتقل كلاهما إلى بغداد للتدريس، فازداد الصراع واشتدت المناظرات بينهما، الأمر الذي دفع الدارسين إلى الانتباه لكلا المدرستين

وأخذ العلم منهما معًا، ثم انتقاء ما يوافق ميولهم واتجاهاتهم الفكرية. وبهذا تأسست المدرسة البغدادية على مبدأ الجمع والانتقاء من آرائي المدرستين البصرية والكوفية.

ومع مطلع القرن الرابع الهجري، بدأت مدرسة بغداد تبرز بمنهجها المتميز، الذي لم يبتكر أسسًا أو طرق استنتاج جديدة، بل اعتمد على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية، مع تقلب الميل بينهما أحيانًا إلى الكوفية وأحيانًا إلى البصرية. وقد شهد هذا المنهج تعديلات متعددة، إذ رأى علماء بغداد أن قواعد النحو ومصطلحاته قد استقرت على أيدي علماء البصرة والكوفة، فلم يتبق لهم سوى إجراء تحسينات وتعديلات إضافية.

1.1. أعلام مدرسة بغداد:

برزت مدرسة بغداد بعدد من العلماء الذين أسهموا في تطور النحو واللغة العربية، ومن أبرزهم الزجاجي(340هـ) الذي جمع بين الدرس البصري والكوفي وطور قواعد اللغة، وأبو علي الفارسي(377هـ) الذي اهتم بتقعيد النحو وبيان أصول اللغة، وابن جني المعروف بدراساته الصوتية والدلالية، والزمخشري صاحب التفسير والبيان اللغوي العميق، وابن الشجري (542هـ) وابن الأنباري (577هـ) الذين أضافوا جهودًا في شرح قواعد النحو، والعكبري(616هـ) وابن يعيش(643هـ) اللذان اشتغلا على النحو والصرف، والراضي الأستراباذي (685هـ) الذي وضع مؤلفات هامة في قواعد اللغة العربية، فجاءت مساهماتهم مجتمعة لتشكل الركائز الأساسية للمدرسة البغدادية في القرن الرابع الهجري وما بعده[74].

---

[74]. ينظر: المدارس النحوية، خديجة الحديثي، ص 219. 222.

2.1. خصائص منهج المذهب البغدادي:

1. الاعتماد على السماع:

وقف علماء بغداد في هذا المذهب موقفًا وسطًا بين المدرستين البصرية والكوفية، فلم يجعلوا تفضيلًا للغة على أخرى، بل اعتبروا جميع لغات العرب مصدرًا معتبرًا، كما كان الحال عند الكوفيين، فكانوا يحتجون بما ورد في كلام العرب مهما تنوعت لهجاتهم، ولا يصفون أي لغة بالشذوذ لمجرد مخالفتها للقياس. وفي الوقت نفسه، لم يخالفوا المدرسَة البصرية، فكانوا يأخذون عن الأعراب الذين استوطنوا الحضر وأتموا قواعد اللغة، بحيث يجمع المذهب البغدادي بين احترام لغة البدو ولغة الحضر، ويقف بذلك في موقع متوسط بين المدرستين، مع اعتبار الفصاحة معيارًا للتقييم دون تحيز.

2. الاعتماد على القياس:

أما في موضوع القياس، فقد تبنّى البغداديون منهجًا وسطيًا بين نهج البصرة والكوفة، فالبصريون كانوا يعتمدون على الأعم والأغلب من كلام العرب، فيستندون إلى ما شاع من الألفاظ والقواعد دون الاقتصار على الأمثلة النادرة، لضمان عمومية القاعدة وصلاحيتها للغالبية، بينما كان الكوفيون يقيسون حتى على المثال الواحد أو على الأمثلة النادرة، معتبرين أي استثناء دليلاً على الحكم. فالبغداديون دمجوا بين هذين النهجين، فكانوا يراعون العموم والشيوع كما يفعل البصريون، لكنهم أيضًا لا يهملون الأمثلة الفردية إذا كان لها ما يبررها، فكان قياسهم متوازنًا بين العموم والاستثناء.

2. المدرسة الأندلسية النحوية:

المدرسة الأندلسية هي اتجاه نحوي ولغوي نشأ في الأندلس ابتداءً من القرن الثاني الهجري، متأثرًا في بداياته بمدارس النحو المشرقية، خاصة البصرية والكوفية ثم البغدادية، قبل أن يستقل بشخصيته العلمية ومنهجه الخاص.

وقد تميزت هذه المدرسة بجمعها بين التلقي عن المشارقة والنقد والاختيار، حتى كوّنت مذهبًا نحويًا له أصوله وسماته، عُرف في ما بعد بـ المذهب الأندلسي.

نشأت المدرسة الأندلسية في بيئة علمية مزدهرة، حيث حظي العلم والعلماء برعاية الأمراء والخلفاء، وانتشرت المكتبات، وكثر الرحالون في طلب العلم من المشرق، كما استُقدِم كبار العلماء إلى الأندلس، مما أسهم في نهضة علمية واسعة شملت مختلف العلوم، وعلى رأسها علوم اللغة والنحو[75].

1.2. أعلامها:

برز في المدرسة الأندلسية عدد كبير من النحاة واللغويين الذين كان لهم أثر بالغ في تطور الدرس النحوي، ومن أشهرهم:

1. جودي بن عثمان المورووري (ت 198هـ): يُعد أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس، وكان له فضل السبق في نشر النحو الكوفي، وتولى القضاء بقرطبة.

---

[75]. ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 277.

2. أبو بكر الزبيدي (ت 379هـ): من كبار نحاة الأندلس، له مؤلفات مهمة مثل طبقات النحويين واللغويين، والواضح في النحو، وقد امتاز بدقة التصنيف وجمع آراء المدارس النحوية.

3. الأعلم الشنتمري (ت 476هـ): عُرف بسعة حفظه وقوة ملكته اللغوية، ومن أشهر أعماله شروحه على كتاب سيبويه وشرح دواوين الشعر، وكان مرجعًا في العربية.

4. ابن مضاء القرطبي (ت 592هـ): من أبرز المجددين، دعا إلى إلغاء نظرية العامل والعلل النحوية، وانتقد التعقيد المنطقي في النحو، وله كتاب الرد على النحاة[76].

5. ابن مالك الجياني (ت 672هـ): أشهر نحاة الأندلس على الإطلاق، وصاحب ألفية ابن مالك التي أصبحت عمدة تعليم النحو في العالم الإسلامي، جمع فيها خلاصة المذاهب مع ترجيحاته الخاصة.

6. أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ): إمام في النحو والتفسير، له مؤلفات ضخمة مثل البحر المحيط والتذييل والتكميل، وكان ناقدًا دقيقًا للمذاهب النحوية[77].

2.2. خصائص مذهب الأندلس:

تميّز المذهب الأندلسي بعدة خصائص جعلته مدرسة قائمة بذاتها، من أهمها:

1. المنهج الانتقائي: لم يلتزم نحاة الأندلس بمذهب واحد، بل اختاروا من آراء البصريين والكوفيين والبغداديين ما يرونه أقرب إلى الصواب، مع الترجيح بالدليل.

---

[76]. ينظر: المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 304.

[77]. المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 290. 294.

2. النزعة النقدية والاستقلال العلمي: لم يكتفوا بالتقليد، بل ناقشوا آراء السابقين وردّوا عليها، وأثبتوا شخصيتهم العلمية، حتى أصبح المشارقة يأخذون عنهم.

3. التوسع في الاستشهاد بالحديث النبوي: وهو من أبرز ما انفردوا به مقارنة بالبصريين، وقد تبعهم في ذلك من جاء بعدهم كابن هشام.

4. تبسيط النحو وتقريبه: ظهر ذلك في الدعوة إلى تقليل التعليلات المنطقية، وخاصة عند ابن مضاء، مما جعل النحو الأندلسي أسهل مأخذًا وأقرب للفهم.

5. العناية بالمتون النحوية: برع الأندلسيون في وضع المتون المنظومة والمنثورة، مثل: المقدمة الجزولية، ألفية ابن معط، ألفية ابن مالك، التي نالت شهرة واسعة وكُتبت عليها عشرات الشروح.

6. الإبداع في التأليف والتصنيف: ألّفوا في موضوعات دقيقة مثل:

. حروف المعاني، الضرائر الشعرية، ترتيب أبواب النحو، مما أسهم في إثراء الدرس النحوي العربي.

وخلاصة القول أنّ بغداد شكّلت مرحلة وسطى في تطور الدرس النحوي العربي، إذ لم تنشأ مدرسة مستقلة من حيث الأصول، بل قامت على الجمع بين تراث البصرة والكوفة، واعتمدت منهج الانتقاء والترجيح بين آرائهما. وقد ساعد على ذلك انتقال كبار أعلام المدرستين إلى بغداد، مما جعلها مركزًا علميًا تفاعليًا، اتسم منهج علمائه بالاعتدال في السماع والقياس، والابتعاد عن التعصب المذهبي، فكان المذهب البغدادي مذهبًا توفيقيًا أكثر منه تأسيسيًا.

أما المدرسة الأندلسية النحوية، فقد مثّلت مرحلة أكثر نضجًا واستقلالًا في تاريخ النحو العربي، إذ بدأت متأثرة بالمذاهب المشرقية، ثم سرعان ما كوّنت شخصيتها الخاصة، واتسمت بنزعة نقدية واضحة، وجرأة علمية في مراجعة القواعد النحوية

وتقويمها. وقد أسهمت البيئة العلمية المزدهرة في الأندلس، ورعاية الحكّام للعلم، في بروز أعلام كبار كان لهم أثر بالغ في تطوير النحو العربي.

وتتميّز المدرسة الأندلسية بمنهجها الانتقائي الواعي، وتوسّعها في الاستشهاد بالحديث النبوي، وسعيها إلى تبسيط النحو وتقريبه للمتعلمين، فضلًا عن إسهامها الكبير في وضع المتون النحوية والتصنيف الدقيق في قضايا لغوية متخصصة. وبذلك انتقل النحو في الأندلس من مرحلة التلقي إلى مرحلة الإبداع والتأثير، حتى أصبح المشارقة أنفسهم ينتفعون بجهود الأندلسيين ومؤلفاتهم.

وعليه، يمكن القول إن المدرسة البغدادية مهّدت للتوفيق المنهجي بين المذاهب، بينما جسّدت المدرسة الأندلسية ذروة الاستقلال والتجديد في الدرس النحوي، وأسهمتا معًا في إغناء التراث النحوي العربي وترسيخ قواعده عبر العصور.

المحاضرة السابعة:

الجهود الصرفية عند العرب القدامى.

تمهيد:

يُعدّ علم الصرف من أهمّ علوم العربية؛ إذ يتناول بنية الكلمة وتحولاتها المختلفة، ويكشف عن القوانين التي تحكم صيغ الألفاظ وأبنيتها ودلالاتها. وقد نشأ هذا العلم في أحضان الدرس النحوي، متأثرًا بالحاجة إلى ضبط اللسان العربي وصيانة اللغة من اللحن، ولاسيما في فهم النص القرآني. ومع تطوّر الدراسات اللغوية عند العرب، تدرّج علم الصرف من كونه جزءًا من النحو إلى أن استقلّ بمباحثه وقواعده ومصنّفاته، فشكّل ركنًا أساسيا في بناء الدرس اللغوي العربي القديم.

1. مفهوم الصرف:

1.1. لغة: تفيد لفظة (صرف) في اللغة التغيير والتحويل، جاء في لسان العرب: " والصّرف: ردّ الشيء عن وجهه"[78]، ومنه قوله تعالى: "صَرَفَ الله قُلُوبَهُم بِأَنَّهُم قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ"[79]

كما تفيد التبيين والإظهار، جاء في القاموس: "وتصريف الآيات تبيينها"[80]، ومنه قوله تعالى: " وصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ"[81].

1. 2. اصطلاحا: الصرف هو تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي، ويراد ببنية الكلمة هيئتها أو صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها[82].

---

[78]. لسان العرب، ابن منظور، مادة (صرف).

[79]. سورة التوبة، الآية 127.

[80]. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، مادة (صرف).

[81]. سورة الأحقاف، الآية 27.

جامعة وهران1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي

2. مراحل تطور الدرس الصرفي:

1.2. المرحلة الأولى: تمثل هذه المرحلة البداية الأولى لتشكل علم الصرف، وهي فترة امتدت حتى زمن سيبويه، الإمام الذي وضع أسس النحو العربي. وفي هذه المرحلة كان الصرف ممزوجًا بالنحو، أي أنه لم يكن علمًا مستقلاً بحد ذاته، بل كان جزءًا من دراسة اللغة عامة، وخاصة فيما يخص إفراد الكلمة وتركيبها.

1. الصرف في المناظرات والمخطوطات النحوية: كان علماء اللغة في هذه الفترة يدرسون الصرف في سياق المناظرات اللغوية ومباحث النحو، حيث لم يكن هناك تقسيم واضح بين مباحث الصرف والنحو. وكان التركيز على توضيح أحكام الكلمة في الإفراد والتركيب، سواء في تركيبها مع الكلمة الأخرى أو في تصريفها بأنواع الأفعال والأسماء.

2. بعض المؤلفات المتفرقة عن الصرف: رغم اندماج الصرف بالنحو، إلا أن بعض العلماء شرعوا في تفريد مسائل صرفية محددة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

كتاب الهمزة لعبد الله بن إسحاق، الذي تناول مسائل صرفية بعينها، مثل الحروف والكلمات التي يبدأ بها الكلام، وكيفية تصريفها، وهذا يدل على بداية وعي العلماء بخصوصية الصرف، وأنه يستحق دراسة مستقلة عن النحو العام، رغم عدم انفصاله الكامل بعد.

---

[82]. المدخل إلى علم الصرف، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، 1974، ص7.

3. طابع المرحلة العامة: الصرف كان ينسرب بين مباحث النحو، كما هو واضح في كتاب سيبويه، الذي ضم الكثير من مسائل الصرف ضمن مباحث النحو، فلم يكن فيه فصل واضح بين الصرف والنحو، بل كان الكتاب جامعا للغتين: دراسة الأحوال الإفرادية للكلمة وصيغ تركيبها مع الكلمات الأخرى.

لهذا السبب عرف بعض العلماء النحو بأنه علم يعرف به أحوال كلم العربية إفرادًا وتركيبًا، فيكون الصرف جزءًا من هذا العلم الشامل.[83]

والجدير بالذكر أنه في هذا الطور برزت الكوفة كمركز مهم للنشاط الصرفي، واحتلت مكانة بارزة إلى جانب البصرة، فقد اهتم علماء الكوفة بدراسة الصرف بشكل أوسع، واستنبطوا الكثير من القواعد الصرفية، ما جعل بعض المؤرخين ينسبون وضع علم الصرف إلى الكوفة، نظرًا لما أبداه علماؤها من اجتهاد في البحث عن أبنية الكلمة وأحكامها.

1. معاذ الهراء: يُعدّ من أبرز علماء الكوفة في هذا المجال، اهتم بالصرف اهتمامًا بالغًا، وأفرد بعض مسائل الصرف بالبحث، لولعه بدراسة الأبنية الصرفية للكلمة، تناول الصرف بشكل مستقل عن فروع اللغة الأخرى، فكانت دراساته متخصصة، وممهدة لاستقلال الصرف كعلم قائم بذاته.

2. الرؤاسي (توفي 187هـ): جاء بعد معاذ الهراء، وساهم في تطوير علم الصرف في الكوفة، وصنّف كتبا مستقلة في أبواب معينة من التصريف، مثل:

---

[83]. ينظر: دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، محمد خليفة الدناع، منشورات قاربتونس، بنغازي، 1991، ص40.

كتاب التصغير، الذي تناول أحكام التصغير وأشكاله وأنواعه، وكتاب الوقف والابتداء الكبير والصغير، الذي ركّز على القواعد الصرفية المرتبطة بمواضع الكلمة ضمن الجملة والوقف، وأثر ذلك على تصريفها.

هذه الكتب تشير إلى تطور الصرف الكوفي نحو التخصص والانفصال عن النحو العام، مع المحافظة على الصلة الوثيقة بالدرس اللغوي الشامل.[84]

2.2. المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي استقل فيها التصريف أو أحد مباحثه بالتأليف، وتبدأ بالكسائي(189هـ) الذي ألف كتابا في المصادر[85]. وقد شهدت هذه المرحلة عددا كبيرا من الكتب الخاصة بالتصريف، إما تحمل اسم التصريف، وإما تحمل اسم أحد مباحثه، أما التي تحمل اسم التصريف، فمنها:

. التصريف لعلي أحمد الكوفي (194هـ).

. التصريف لأبي عثمان المازني(247هـ)، وهو أقدم كتاب وصل إلينا أفرد فيه التصريف بالبحث، قام بشرحه بعده ابن جني في كتابه "المصنّف"، وكذلك "التصريف الملوكي"، كما شرحه عدد من العلماء[86].

. التصريف للفراء (207هـ).

. الأبنية والتصريف للتّوزي(230هـ).

. التصريف لعبد القاهر الجرجاني (471هـ).

---

[84]. الفهرست، ابن النديم، تح: البدوي زهران، دار المعارف، القاهرة، 2006، ص64.

[85]. نزهة الألباء في الطبقات والأدباء، الأنباري، تح: إبراهيم السامرائي، الأردن، المنار، 1975، ص61.

[86]. المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، 1999، ص 20.19.

أما الكتب التي خصصت لمسألة في التصريف، منها:

. المصادر للنظر بن شميل (203هـ).

. الاشتقاق، الهمز، فعل وأفعل لقطرب (206هـ).

. المصادر في القرآن، الوقف والابتداء، الجمع والتثنية، المقصور والممدود للفراء (207هـ).

. الاشتقاق للأخفش الأوسط (221هـ) أو (215هـ).

. الأبنية للجرمي (225هـ).

3.2. المرحلة الثالثة: وفيها بلغت الدراسات الصرفية أوجّها، وهي التي حددها الدارسون بالقرنين السادس والسابع الهجريين، وفيها أيضا اكتمل صرح التصريف، فبلغ التأليف ذروته على يد علمائها الذين جاءت مؤلفاتهم غاية في الاستيعاب لجميع أبواب التصريف، فوضعوا أهم مصنّفاته وأدقّها وأكملها وأجودها تهذيبا وتوضيحا ومنهجا.

وكان إمام هذه المرحلة ونجمها اللامع ابن القطاع الصقلي (515هـ)، الذي أدخل الصرف بتأليفه في الأبنية مجالا جديدا في كتابه " أبنية الأسماء والأفعال والمصادر" وكتاب "تهذيب الأفعال"، وقد ظهر تأثيره واضحا في مؤلفات من جاء بعده كابن عصفور (669هـ) في كتابه "الممتع في التصريف" وابن الحاجب (646هـ) في كتابه " الكافية الشافية" وله "الألفية" وكتاب "التصريف".

وهكذا توالت المصنّفات في مجال الصرف مستقلا لكنها تتفاوت في طبيعتها وما تقدمه من مادة وشروح لمسائل الصرف وترتيب موضوعاته.

ولم ينته هذا الطور حتى اكتملت أصول هذا الفن بجانب النحو وصار علما مستقلا بمسائله وأبوابه وتآليفه بحيث لم تبق فيه غاية إلا الشرح أو الاختصار أو الاختيار والترجيح بين آراء السابقين.

وصفوة القول أنّ الدرس الصرفي عند العرب كشف عن وعيٍ مبكّر ببنية الكلمة وقوانين تغيّرها، حيث تطوّر تدريجيًا من ملاحظات متفرّقة ضمن النحو إلى علم مستقلّ ذي منهج واضح ومباحث دقيقة. وقد أسهم تراكُم الجهود العلمية في ترسيخ الصرف بوصفه أداة لفهم دلالات الألفاظ وضبط الاستعمال اللغوي، حتى بلغ درجة عالية من النضج النظري والتطبيقي، مما يعكس قدرة العقل اللغوي العربي على التقعيد والتحليل وبناء العلوم على أسس منهجية راسخة.

المحاضرة الثامنة:

الجهود الدلالية عند اللغويين القدامى

1. ماهية الدلالة عند العرب القدامى:

أ. في اللغة: ورد هذا المصطلح في معجمات اللغة بمعنى الإرشاد والتوجيه. "فالدلالة بفتح الدال وكسرها وضمّها من دلّ، يدلّ إذا هدى ومنه دليل ودليليٌّ والدّليليُّ العالم بالدلالة. ويقال: دلّه على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودَلولة "[89] سدده إليه.

فالمعنى اللغوي للدلالة يوحي عند المعجميين بالإرشاد والهداية والدلالة أعم من الإرشاد والهداية أي المعنى المراد من الكلمة اللغوية أو الذي تحمله الكلمة[90].

ب . في الاصطلاح:

عرف الشريف الجرجاني (816هـ) من أن الدلالة : "هي كون الشيء بحالة يلزم مع العلم به العلم بشيء آخر، والأوّل هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى في اصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص"[91] .

2. البحث الدلالي عند اللغويين القدامى:

لقد تطرق العرب القدامى إلى جوانب عديدة من الدرس الدلالي ومن هؤلاء نذكر:

1 . الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): فقد أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه العين حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر

---

[89]. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت لبنان، دار المعرفة، ط 1 ، 2005، مادة (دلل)

[90]. علم الدلالة التطبيقي في التراث اللغوي، هادي نهر، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2008، ص11.

[91]- أبي الحسن الشريف الجرجاني، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس (ط1) 1971م، ص 38.

البنيوي، الحرفي، ومن ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة، وأخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتعود ألفاظاً بداية ونهاية طرداً وعكسا، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة والمهمل دون استعمال.

وقد كان الخليل هو الرائد الأول لهذا الباب دون الخوض في التفصيلات المضنية للبحث الدلالي كما يفهم في لغة التحديث، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون عن قصد أو غير قصد، وهو إلى القصد أقرب وبه ألصق لما تميز به الخليل من عبقرية ولما اتسمت به بحوثه من أصالة وابتكار.

2. سيبويه (180هـ): وقد أفاد من الخليل كثيراً حين حديثه عن قضية اللفظ في كتابه "الكتاب"، فنجده يعقد بابا ويسميه "باب اللفظ والمعنى"، حيث يقول: "هذا اللفظ للمعاني"[92]، لأن اللفظ قد يكون واحدا وتتعدد معانيه، ومن كلام العرب "اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين"[93]، فقد حاول سيبويه من خلال ذلك "ربط اللفظ بالمعنى أو الشكل بالمضمون وفق أحكام لغوية يقتضيها الدرس النحوي، وهي ذات أهمية بالغة لارتباطها بالقوالب التحديدية كالفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها من الدلائل الوظيفية النحوية"[94].

---

[92]. الكتاب، سيبويه، نح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1977، ج1، ص24.

[93]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[94]. الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص22.

2 . أبو عثمان الجاحظ (ت 255 ه): عقد الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" بابا تحدث فيه عن الدلالة بمعناها العام أسماه "باب البيان"، وذكر فيه قيمتها وأثرها، كما أشار إلى الرسائل التي يعبر بها عن المعنى، ويستدل بها عليه، وعرّف البيان بقوله: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم علة محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[95].

كما يشير الجاحظ إلى العناصر التي تشارك في الاتصال من خارج اللغة مثل: " الحركات البدنية والإشارات والعقد الذي يعني الأرقام الحسابية التي ترمز لمعان في النفس وكذلك الأحرف الكتابية التي يشار بها إلى المعنى والعالم الخارجي أو المحيط الذي يعانيه المتكلم والمستمع ويساهم في الدلالة[96].

وهو حينما يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام، وهي حالة بلاغية ، إنما يتحدث عما يحدثه معنى اللفظ عند السامع من فهم لا يتعدى فيه المتكلم

---

[95] .البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ص76.

[96] .البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص76.

حدود دلالة الألفاظ على المعاني لدى المتلقي فيقول : "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبيّن أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[97] وهو بهذا يريد أن يتحدث عن الدلالة في أبعادها المخصصة لها فلا تتعدى حدودها ولا تتجاوز مفهومها، وإن ربط بينها وبين عقلية المتلقي في مطابقة المقال لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون، أو مطابقة الكلام لمناسبة المقام.

3 . أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ): فقد تعرض إلى الصلة القائمة بين الألفاظ ومعانيها، والعلاقة الموجودة بينهما، وذلك ما نجده في أربعة أبواب منها:

1. "باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني"[98] حين ربط بين كلمتي "المسك" و"الصّوار"، فيقول:" إن كلا منها يجذب حاسة من يشمه، أي أن المسك في رأيه سمي كذلك لأنه يمسك حاسة الشم ويجتذبها، ويتخذ ابن جني دليلا على قوله من كلمة المسك بالفتح ومعناها الجلد، أن الجلد يمسك ما تحته من جسم"[99]

2. أما الباب الثاني فهو ما سماه "بالاشتقاق الأكبر""الذي فسره بأن الكلمة مهما خضعت للتقليبات فهي تشتمل على معنى عام مشترك، ويضرب مثلا بمادة "ق و س"" والقسوة هي شدة القلب واجتماعه...ومنها القس لابتداء الجرب..."[100] .

---

[97] . البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص138.

[98] . ينظر: الخصائص، ابن جني، 113/2

[99] . دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط4، 1980، ص65.

[100] . الخصائص، ابن جني، 137.136/2.

ويتبين من خلال ذلك أن ابن جني لم يدع إلى اطراد العلاقة بين الألفاظ ومعانيها ولا إلى شمولها للأصول كافة أيضا بدليل قوله: "واعلم أنه لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة"[101].

3. وفي باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" يذهب إلى أن مجرد الاشتراك في الحروف الثلاثة أدى إلى الاشتراك في الدلالة، كما في كلمتي "دمث" و"دمثر" فالأولى من دمث المكان كفرح.. والثانية معناها السهل من الأرض[102].

4. وسمي الرابع بـ"إمساس الألفاظ أشباه المعاني" أي وضع في الألفاظ على صورة مناسبة لمعانيها "فهو يشير بذلك إلى تقارب المعاني نتيجة تقارب الأصوات"[103]. ويفترض هنا أن صيغة "الفعلان" تفيد الاضطراب كالغليان والفوران، وأن صيغة "الفعللة" تفيد التكرير مثل: "صرصر الجندب" أي كرر في تصويته، وأن صيغة "الفعلى" تفيد السرعة مثل الجمزى[104]. كما يبحث ابن جني أيضا في هذا الباب في التناسب الحاصل بين أصوات الحروف وبين الأفعال المتحدث بها عنه فيقول:" ومن ذلك قولهم: النّضح للماء ونحوه، والنّضخ أقوى من النضح، قال الله تعالى:(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ)[105] ، فجعلوا الحاء ـ لرقتها ـ للماء الضعيف، والخاء ـ لغلظها ـ لما هو أقوى منه"[106].

---

[101] .الخصائص، ابن جني، 138/2.

[102] .ينظر: المصدر نفسه، 145/2.

[103] .الخصائص، ابن جني، 152/2.

[104] .دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص66.

[105] .سورة الرحمن، الآية66

[106] .الخصائص، ابن جني، 158/2.

4. أحمد بن فارس (395هـ): في معجمه "مقاييس اللغة" فهو صاحب نظرية "في دلالة الألفاظ"، فكتابه يعنى بالكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني في أكثر من وجه، وذلك حين ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها؛ بحيث يعد مثل رائع للمعجمات التي تعنى بمعاني الألفاظ، ومحاولة الربط بينها وإعادتها إلى أصولها التي تفرعت عنها، وقد وفّق في ذلك إلى حدّ بعيد. وكتابه "الصاحبي في فقه اللغة" ينطلق فيه لتحديد الدلالة، فيشير إلى مرجعها، ويحدده في ثلاثة محاور أساسية تدور كلها في فلك الدلالة. وهي : المعنى، والتفسير، والتأويل. وهي إن اختلفت فإن المقاصد منها متقاربة[107]، ومن دلالة المعنى في الكلام مثلا يقول: "زعم قوم أن الكلام ما سمع وفهم، وذلك قولنا" قام زيد" و"ذهب عمرو"، وقال قوم: الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى والقولان عندنا متقاربان، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا بحروف مؤلفة تدل على معنى"[108].

ومن خلال هذا التحديد، نرى أن "ابن فارس" يعتبر الكلام في المستوى الأول عملية تآلف حروف وأصوات تؤدي إلى مستوى ثان هو مستوى المعنى وكل ذلك ضمن عملية تواصل يكون الفهم والإفهام غايتها الرئيسية، لذلك نجده يخصص دراسة دلالة معاني الكلام بباب خاص سماه بـ: "باب معاني الكلام" معتبرا أن هذه المعاني هي عند أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، أمر ونهي، دعاء وطلب، عرض وتحضيض، تمنّ وتعجب"[109].

---

[107]. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تح: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993، ص198.

[108]. المرجع نفسه، ص81.

[109]. ينظر: مفهوم الدلالة عند ابن فارس في كتابه الصاحبي، صبحي البستاني، الفكر العربي المعاصر، بيروت، 1982، ص184.

5. حازم القرطاجني (684هـ): والذي يشير بدوره إلى الحقائق الدلالية السابقة لعصره، وهي عنده من المسلمات حتى أنه يقارن بين دلاله المعاني والألفاظ ويعبّر عنها بصورة ذهنية، وهو إنما يحقق في ذلك من أجل أن يتفرغ اللفظ بالمعنى وإتمام المعنى باللفظ، فيقول في ذلك: "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكل شيء له وجود خارج الذهن وأنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، قام اللفظ المعبّر به هيئة تلك الصورة في أهام السامعين وأذهانهم"[110].

6. جلال الدين السيوطي (911هـ): لقد تطرق "السيوطي" إلى غالبية الآراء التي ترددت عند علماء الإسلام حول أصل اللغة، وذلك حين عرضه في مسألة دلالة الألفاظ على معانيها، وهي عنده أربعة أقسام[111]:

1. تدل الألفاظ على المعاني بذواتها، وهو مذهب عباس بن سليمان الصيمري (436هـ) ، فقد نقل عنه أهل أصول الفقه، إلى أنه ذهب إلى أن يكون بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، وحجته في ذلك أنه: لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من الألفاظ بإزاء معنى من المعاني، ترجيحا بلا مرجح، ولو لم يكن بين اللفظ ومعناه مناسبة طبيعية لما كان اختصاص ذلك المعنى بذلك اللفظ أولى من غيره.

---

[110] . منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، دار الكتب المصرية، 1966، ص18.

[111] . المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص18.

2. أو تدل على المعاني بوضع الله عز وجل إياها، وهو مذهب أبي الحسن الأشهري (324هـ) وابن فورك الأصبهاني (406هـ).

3. أو تدل على المعاني بوضع الناس، وهو رأي أبي هشام عبد السلام محمد الجبائي المعتزلي (321هـ).

4. أو يكون البعض بوضع الله تعالى، والباقي بوضع الناس، فإما أن يكون الابتداء من الله عز وجل والتتمة من الناس، وهو مذهب الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني (418هـ)، وإما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله تعالى، وهو مذهب قوم _لم يسمّهم_.

وفي كلام "السيوطي" ما يشير إلى أن جميع الآراء جديرة بالبحث والمناقشة.

ومن ثمة يُظهر التراث اللغوي العربي أن الاهتمام بالمعنى لم يكن هامشيًا ولا تابعًا لبقية علوم اللغة، بل شكّل محورًا أساسيا في تفكير اللغويين والبلاغيين والفلاسفة. فقد تعامل العلماء مع الدلالة بوصفها جوهر العملية اللغوية، ووعوا مبكرًا بالعلاقة المركّبة بين اللفظ والمعنى، وبأثر السياق والمقام والمتلقي في توجيه الفهم. كما يكشف هذا التراث عن تنوّع المناهج الدلالية بين التحليل المعجمي، والربط الاشتقاقي، والنظر الوظيفي، والتأمل الفلسفي، مما أتاح مقاربة شاملة للمعنى تتجاوز حدود اللفظ المفرد إلى الخطاب والتواصل.

وتدل هذه الجهود على أن الفكر اللغوي العربي قد أسّس، في وقت مبكر، لعدد من القضايا التي تشكّل اليوم صميم الدرس الدلالي الحديث، الأمر الذي

يؤكد أصالة التراث العربي وثراءه وقدرته على الإسهام في بناء النظرية اللسانية المعاصرة.

المحاضرة التاسعة:

الجهود المعجمية عند اللغويين القدامى.

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

تمهيد:

لقد تأخر العرب في تدوين اللغة العربية مقارنة بالأمم السابقة كالآشوريين واليونانيين والهنود، ولم يعرفوا التأليف المعجمي قبل العصر العباسي لأسباب عديدة من بينها انتشار الأمية بينهم قبل الإسلام، وطبيعة حياتهم الاجتماعية القائمة على الغزو والانتقال من مكان إلى آخر، إضافة إلى أنهم كانوا يتقنون لغتهم فكانت لغة المحادثة والخطابة والشعر، حيث قال بن عباس: "الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه"[112]، وقال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب"[113]ولكن لا شك في أن الفكرة المعجمية كانت قد بدأت تراودهم منذ أن بدأوا بشرح القرآن.

1. مفهوم المعجم:

1.1. في اللغة: جاء في معجم العين مادة (ع ج م): "العُجم ضد العرب، ورجل أعجمي ليس عربي وامرأة عجماء، والعجمة، والعجماء كل دابة أو بهيمة، والعجماء كل صلاة لا يقرأ فيها، والأعجم كل كلام ليس بلغة عربية، والمعجم حروف الهجاء المقطعة لأنها أعجمية وتعجيم الكتاب تنقيطه كي تستقيم عجمته ويصح"[114].

وعليه فالمعنى اللغوي للفظة معجم يفيد الغموض والإبهام.

---

[112]. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب، لبنان، دط، 1935، ج1، ص24.

[113]. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[114]. معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية، 1970، مادة (ع ج م)، ص237.1

كما يكتسب هذا اللفظ معنى آخر جديد، هو السلب والإزالة والنفي، وهذا إذا أدخلنا على الفعل "عجم" همزة التعدية ليصبح "أعجم" لتفيد معنى الإيضاح والإبانة والإفصاح كقولنا : "أشكيت زيدا، أي أزلت شكايته...وكلمة (قسط) مثلا دلالتها الأصلية بمعنى ظلم كقوله تعالى: " وأمَّا القَاسِطُونَ كَانُوا لِجَهنَّمَ حَطَبًا"[115]، وبزيادة الهمزة (أقسط) أصبحت تدل على العدل بدليل قوله تعالى: "وأَقْسِطُوا إنَّ الله يُحبُّ المُقْسِطِينَ"[116].

وبالتالي كلمة (أعجم) بزيادة الهمزة تفيد إزالة العجمة، فقولنا: أعجمت الكتاب أي أزلت إبهامه بنقط الحروف المعروفة[117].

2.1. في الاصطلاح: عرّفه "علي القاسمي": بأنه: "كتاب يحتوي على كلمات منتقاة ترتب عادة ترتيبا هجائيا مع شرح لمعانيها ومعلومات أخرى ذات علاقة بها، سواء أعطيت تلك الشروح والمعلومات باللغة ذاتها أم بلغة أخرى"[118]. وفي تعريف آخر هو: " كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبا ما تكون الترتيب الهجائي"[119].

2. بدايات العمل المعجمي عند العرب:

يرى الباحثون أن البدايات الأولى للعمل المعجمي عند العرب تمثلت في الرسائل اللغوية التي اعتنى أصحابها بمفردات لغوية تدور حول مستوى لغوي واحد . الفصيح أو الغريب . وفي موضوع بعينه.

---

[115] . سورة الجن، الآية 15.

[116] . سورة الحجرات، الآية 09.

[117] . مناهج التأليف المعجمي عند العرب، محمد عبد الكريم مجاهد، ص17.

[118] . علم اللغة وصناعة المعجم، علي القاسمي، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، ط1، 1975، ص3.

[119] . البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختارعمر، ص162.

ولما كانت اللغة العربية مرتبطة بدين الإسلام، فقد حظيت لغة القرآن والحديث النبوي الشريف باهتمام العلماء، ودارت حولها دراسات لغوية متعددة منها ما اختص بشرح المفردات اللغوية وتفسيرها، وخاصة الغريب منها، ومن هذه المؤلفات:

. غريب القرآن لابن عباس(68هـ).

. غريب القرآن لأبي سعيد البكري (141هـ).

. غريب الحديث لأبي عبيد بن معمر بن المثنى (211هـ).

وممّا يذكر في مجال الحديث عن بدايات العمل المعجمي عند العرب تلك الرسائل أو المعيجمات الموضوعية التي تدور مفردات كل منها حول موضوع بعينه، مثل: الهمز، النوادر، الخيل، الإبل، المطر، الوحوش، والحشرات وخلق الإنسان والنحل والعسل...إلخ

ومن الذين عنوا بهذا المجال خلف الأحمر (180هـ) وأبو المنذر هشام بن محمد الكلبي (204هـ) وأبو عمرو الشيباني (206هـ) وقطرب (206هـ) وأبو عبيد بن معمر بن المثنى (211هـ) والأصمعي (213هـ) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (215هـ) وغيرهم.

إلا أن الأمر لم يقتصر على هذه النواحي الضّيقة من العمل المعجمي فتعداه إلى ظهور معجمات كبيرة حرص فيها أصحابها على أن تكون جامعة حاوية لمفردات اللغة العربية.

ومن الذين عنوا بهذا المجال خلف الأحمر (180هـ) وأبو المنذر هشام بن محمد الكلبي (204هـ) وأبو عمرو الشيباني (206هـ) وقطرب (206هـ) وأبو عبيد بن

معمر بن المثنى (211هـ) والأصمعي (213هـ) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (215هـ) وغيرهم .

إلا أن الأمر لم يقتصر على هذه النواحي الضّيقة من العمل المعجمي فتعداه إلى ظهور معجمات كبيرة حرص فيها أصحابها على أن تكون جامعة حاوية لمفردات اللغة العربية.

ومن أوائل تلك المحاولات يذكر معجم "العين" لصاحبه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (175هـ) تضمن مفردات لغوية مستعملة وغير مستعملة عند العرب، وكذا معجم "الجيم" لأبي عمرو الشيباني (206هـ).

وفي القرن الرابع الهجري ظهر معظم المعجمات العربية مثل "الجمهرة" لابن دريد (321هـ) و"تهذيب اللغة" للأزهري (370هـ) و"المجمل" لابن فارس (395هـ).[120]

وعليه فقد اكتملت الاتجاهات المعجمية العربية واستوفت جميع أشكالها قبل انتهاء القرن الخامس الهجري، وكانت هذه المعجمات تسعى إلى تحقيق عنصرين من عناصر المعجم وهما الشمول والإطراد[121]

2. مراحل العمل المعجمي العربي:

سار العمل المعجمي العربي على ثلاثة مراحل وهي:

. المرحلة الأولى: وتتمثل في مرحلة جمع اللغة حيثما اتفق فالعالم يرحل إلى البادية فيسمع كلمة في المطر، والثانية في الصيف وثالثة في الزرع والنبات وهلمّ جرا، فيدوّن ذلك كله دون رابط وترتيب غير ترتيب السماع.

---

[120] .دلالة الالفاظ، إبراهيم أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الانجلومصرية، ط3، 1976، ص230، 231.

[121] .البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختارعمر، ص11.

. المرحلة الثانية: وهي مرحلة جمع الكلمة المتصلة بموضوع واحد في موضع واحد، كالمتحدث يجمع أحاديث الصلاة ويسميها كتاب الصلاة، وأحاديث البيع ويسميها كتاب البيع، كما فعل مالك في "الموطّأ."

. المرحلة الثالثة: وهي مرحلة وضع المعجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة[122]

3. عوامل التأليف المعجمي العربي:

إن المعجم وعاء اللغة وحافظها من اللحن والتصحيف وهو المرجع الفصل عند التحاكم إلى أصيلها من غيره. المعجم هو الهوية التي تميّز المبتذل والوحشي والغريب من الجزل الفصيح الصحيح، فعوامل التأليف المعجمي عند العرب أربعة، وهي:

أ. العامل الديني: وذلك حفاظا على لغة القرآن الكريم من اللحن والخطأ في الفهم؛ لأنها المركبة الوحيدة التي تنقل المكلّف إلى أغوار الخطاب القرآني ليستبين أحكامه ويترجمها سلوكا في حياته.

ب . العامل الاجتماعي: كان من اتساع مظاهر الفتح الإسلامي الكبير اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأعجمية الأخرى، فظهر في اللغة العربية ما عرف بالاقتراض اللغوي نتيجة تأثر العرب بحضارات الشعوب الأخرى، وما نتج عن هذا الاحتكاك ظهور ألفاظ لم يكن للعرب عهد بها من قبل في ميادين الاقتصاد والزراعة ومختلف مناحي الحياة.[123]

---

[122] .ينظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار الشباب للطباعة، مكتبة النهضة المصرية، ط9، 1979، ج2، ص263.265.

[123] .عوامل التطور اللغوي، أحمد عبد الرحمن عباد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983، ص102.

ج . العامل الثقافي: وهو ذلك النضج والوعي الذي وصل إليهما الرواة واللغويون مما تولّد لديهم حرص دقيق على جمع مفردات اللغة، وتقوية جانبها الأصيل، وتنقيتها من الدخيل، فانتهجوا التأليف المعجمي منهجا وإجراء راقيين.

د . العامل السياسي: حيث أدى اتساع رقعة الدولة الإسلامية إلى ظهور مصطلحات إدارية، ومالية وسياسية تواكب مستجدات المرحلة كمصطلحات الخلافة والإمارة والدولة مما زاد في التعقيد الذي أدى إلى ضرورة إيجاد حل[124]

هـ . العامل اللغوي: فبنزول القرآن أصيبت ألفاظ العربية بالتغير الدلالي حيث أصبح لكل مفردة معنيان، أحدهما لغوي والأخر اصطلاحي خاص. يقول ابن فارس" فكان مما جاء عن الإسلام ذكر المؤمن، والمسلم والكافر والمنافق. فهذه الكلمات جميعها عربية الأصل كانت لها دلالات غير التي حُمِّلت إيَّاها". فأدرك المسلمون أن هناك بعض الألفاظ تحول معناها عمّا كان عليه قبل نزول القرآن عرفت نتيجة استعمالها في مواقع واستعمالات جديدة[125]. وهنا بدأ العقل العربي يفكر في وضع المعجم.

فالعمل المعجمي إذا يبقى من أهم الأعمال اللغوية، التي تنطوي مفرداتها بين الصفحات لتبقى خالدة على مرّ الدهور، ولذا أعطى علماء العربية القدامى الأولوية لمثل هذه الأعمال وأخذوا يرتوون من كلام العرب الأقحاح من العلماء الفطاحل دون أن ننسى أهم مصدر انطلقوا منه وهو القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[124] .المصطلحات العلمية في اللغة العربية بين القديم والحديث، الأمير مصطفى الشهابي، دار صادرن بيروت، 1995، ص24،23.

[125] .في المصطلح الإسلامي، إبراهيم السامرائي، دار الأحداث للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1990، ص45.

المحاضرة العاشرة:

المدارس المعجمية ومناهج التأليف المعجمي.

تمهيد:

يُعدّ المعجم من أهم المنجزات العلمية في التراث اللغوي العربي، إذ مثّل أداة مركزية في حفظ اللغة وضبط ألفاظها وصيانتها من التحريف والضياع. وقد ارتبط ظهور التأليف المعجمي ارتباطًا وثيقًا بنشأة الدرس اللغوي نفسه، وبالحاجة الملحّة إلى فهم النصوص الدينية، وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي، إضافة إلى حفظ كلام العرب الفصحاء والاحتجاج به.

ولم يكن العمل المعجمي وليد جهد فردي معزول، بل ثمرة تطور علمي متدرّج، انتقل فيه اللغويون من جمع الألفاظ متفرقةً في كتب اللغة والغريب، إلى وضع معاجم عامة تستوعب مفردات العربية وتقدّمها وفق مناهج دقيقة في الترتيب والتنظيم. وقد أدى اختلاف الرؤى العلمية وتنوّع الخلفيات المنهجية إلى تباين طرائق تصنيف المواد المعجمية، فظهرت مدارس معجمية متعدّدة، لكل واحدة منها أسسها وأهدافها وخصائصها.

ومن هنا، تتجه هذه المحاضرة إلى إبراز أهم المدارس المعجمية في التراث العربي، وبيان مناهجها في ترتيب الألفاظ، مع الوقوف عند أبرز أعلامها ومعاجمها، قصد الكشف عن الجهود العلمية التي أسهمت في بناء الصرح المعجمي العربي، وإظهار القيمة الحضارية والعلمية لهذا التراث في خدمة اللغة العربية وتطوير دراستها.

1. مدرسة الترتيب الصوتي ونظام التقليبات: رائدها الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) الذي ابتكر الترتيب الصوتي وهو نظام خاص في ترتيب حروف الهجاء قائم على أساس تقسيم الألفاظ حسب مخارجها الصوتية ثم ترتيبها على هذا الأساس من أقصى الحلق إلى حروف الشفة، وهو كالآتي: ع. ح. هـ. خ. غ. ق. ك. ج. ش. ض. ص. س. ز. ط. د. ت. ظ. ث. ذ. ر. ل. ن. ف. ب. م. و.

ا. ي. ء، فقد بدأ بالحروف الحلقية ثم اللهوية ثم الشجرية، فالأسلية، فالنطعية، فاللثوية، فالذلقية، فالشفوية، فالهوائية[126].

إضافة إلى نظام التقليبات هو نظام اهتدت إليه عبقرية "الخليل" الفذة، حيث رأى أنه لا يمكن حصر مفردات اللغة إلا بإتباع نظام حسابي دقيق، فالكلمات العربية باعتبار أصولها إما أن تكون مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، فالثنائية الأصول يمكن حصرها بأن يفرض أن الحرف الأول مثلا "أ" فالحرف الثاني قد يكون باء أو تاء أو ثاء...، فإذا ضربنا 1× 27 (عدد حروف الهجاء) أمكن أن نحصر الكلمات الثنائية المبدوءة بالألف، ثم نأخذ الباء ونضربها في26 والثاء في25 وهكذا ومجموع كل هذا نضربه في2 ليكون معنى مقلوب الحروف، فيكون مجموع ذلك جميع الكلمات المركبة من حرفين.

أما الثلاثية الأصول ففرض أن كل ثنائي مما تقدم يعتبر كأنه حرف واحد فتضرب عدد الثنائيات في 26 وما بعده في 25 وهكذا ومجموع ذلك يضرب في 6 جملة المقلوب فعل مثل ذلك في الرباعي والخماسي[127]. وعلى هذا النظام نجد المواد (ك ت ب) (ك ب ت) (ب ك ت) (ب ت ك) (ت ب ك) (ت ك ب) مجموعة في كتاب الكاف لأن هذا الحرف أسبق من الباء والتاء حسب الترتيب الصوتي.

ويعدّ الترتيب الصوتي ونظام التقليبات الخليليين سمة مرحلة مميزة من مراحل التأليف المعجمي اتبعها "الخليل" في معجم العين باعتباره رائد مدرسة الترتيب

---

[126] .ينظر: المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها، إميل يعقوب، دار العلم، بيروت، ط2، 1985، ص 41.

[127] .ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج2، ص266.

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة
المجلس العلمي
كلية الآداب

الصوتي واتبعه كثيرون وساروا على منهجه وانتفعوا بريادته في معجماتهم، بحيث تألفت تلك المدرسة، منهم [128]:

- معجم "البارع في اللغة" للقالي (356هـ).
- معجم "تهذيب اللغة" للأزهري (370هـ).
- معجم "المحيط في اللغة" للصاحب بن عباد (385هـ).
- معجم "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده (458هـ).

2. مدرسة الترتيب الالفبائي: وتفرع عنها مدرستين:

أ. مدرسة الترتيب الألفبائي الخاص (*وضع الكلمة تحت أسبق حروفها*): تنسب هذه المدرسة إلى "ابن دريد" صاحب معجم "الجمهرة في اللغة"، الذي أدرك صعوبة البحث في معجم "العين" عن معاني الكلمات، فشعر بأن ترتيب مواد المعجم حسب النظام الألفبائي يخفّف كثيرا من هذه الصعوبة نظرا لسعة انتشاره، إضافة إلى أنه رأى أن نظام التقليبات الذي ابتدعه "الخليل" أساس سليم لاستيعاب معظم مواد اللغة العربية فجمع بين الترتيب الألفبائي ونظام التقليبات، وتشكّلت هذه المدرسة من:

1. معجم "الجمهرة في اللغة" لابن دريد (321هـ).
2. معجم "مقاييس اللغة" ومعجم "المجمل في اللغة" و لابن فارس (395هـ)[129].

ب . مدرسة الترتيب الألفبائي العادي (وضع الكلمة تحت أول حروفها الأصلية): رائدها "أبو عمرو الشيباني" (206هـ). ظهر هذا النوع من المعاجم منذ وقت مبكر

---

[128] .ينظر: المعاجم اللغوية، إميل يعقوب، دار العلم، بيروت، ط2، 1985، ص44.

[129] .ينظر: المرجع نفسه، ص77.

لا يتجاوز نصف القرن الثاني الهجرة، حيث تتخذ معاجم هذه المدرسة الحرف الأول من الحروف الأصول أساسا لترتيب الكلمات، ثم تنظر إلى الحرف الثاني فالثالث، كما قسمت الكلمات إلى ثمانية وعشرين بابا يختص كل باب منها بحرف معين من حروف الهجاء[130]. وتشكلت هذه المدرسة من:

1. معجم "الجيم" لـ "أبي عمرو الشيباني" (206هـ).

2. معجم "أساس البلاغة" لـ "الزمخشري" (538هـ).

3. معجم "المصباح المنير" لـ "الفيّومي" (770هـ).

3. مدرسة نظام التقفية: تُعدّ مدرسة التقفية ثالث مدرسة في الفكر المعجمي العربي، وتنسب إلى الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، صاحب معجم الصحاح في اللغة. وقد جاء هذا المنهج استجابة لحاجة علمية ملحّة، تمثلت في تيسير عملية البحث المعجمي وتقريبها إلى الدارسين والباحثين، ولا سيما الشعراء وطلاب الأدب، الذين يعنون بالقوافي ونهايات الألفاظ.

ويقوم نظام التقفية على أساس الترتيب الألفبائي، غير أنه يختلف عن الترتيب الألفبائي المألوف من حيث الانطلاق من آخر الحروف لا من أوائلها؛ إذ يُعتمد الحرف الأخير من أصل الكلمة أساسًا للتبويب، فيُسمّى بابًا، بينما يُجعل الحرف الأول من الكلمة فصلًا داخل ذلك الباب. وبهذا يكون ترتيب المواد المعجمية معكوسًا من حيث الاتجاه، إذ يبدأ الباحث من نهاية الكلمة لا من بدايتها.

ويزداد هذا النظام دقةً بتنظيمه الداخلي؛ حيث تُراعى بقية حروف الكلمة بحسب عدد أصولها الصرفية، فـ:

---

[130] .ينظر: آفاق المعاجم العربية، أوريل بحر الدين، مكتبة لسان العرب، ط1، 2020، ص 53.

في الفعل الثلاثي يُنظر إلى الحرف الثاني بعد تعيين الباب (الحرف الأخير) والفصل (الحرف الأول)، وفي الرباعي يُراعى الحرف الثالث، وفي الخماسي يُراعى الحرف الرابع، وذلك بغرض إحكام الترتيب وتقليل التشابه والالتباس بين المواد المتقاربة في القافية.

وقد أسهم هذا المنهج في تسهيل العثور على الألفاظ ذات القافية الواحدة، مما جعله مناسبًا خصوصًا للأغراض الأدبية والشعرية، غير أنه في المقابل تطلّب من المستعمل معرفة دقيقة بأصول الكلمة وردّها إلى جذرها الصحيح، وهو ما قد يُعدّ عائقًا للمبتدئين. ومع ذلك، فإن مدرسة التقفية تمثل مرحلة متقدمة في تطور الدرس المعجمي العربي، وتعكس وعيًا منهجيًا بأهمية التنظيم والترتيب في خدمة اللغة.[131]

ومن المعاجم التي اتّبعت هذا النظام:

. معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري (393هـ).

. معجم "لسان العرب" لابن منظور (711هـ).

. معجم "القاموس المحيط" للفيروز أبادي(817هـ).

. معجم "تاج العروس" للزبيدي (1205هـ).

نشأ العمل المعجمي العربي استجابة لحاجة علمية ودينية فرضها فهم القرآن الكريم والحديث النبوي، ثم تطوّر تدريجيًا من معالجة جزئية للألفاظ إلى تأليف معاجم عامة تهدف إلى جمع مفردات العربية وضبطها. وقد أسهم اللغويون الأوائل

---

[131] . المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، عبد الحميد محمد أبو سكين، دار الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1981، ص88.

في هذا المجال عبر محاولات متفرقة، قبل أن يستقر التأليف المعجمي في صورة مدارس واضحة المعالم.

تنوّعت مناهج ترتيب المواد المعجمية تبعًا لاختلاف الرؤى العلمية؛ فاعتمد بعضهم الأساس الصوتي في تنظيم الألفاظ وربطها ببنية الأصوات ومخارجها، بينما آثر آخرون الترتيب الألفبائي لما يوفره من سهولة في البحث، سواء بالجمع بينه وبين نظام الاشتقاق أو بالاكتفاء بالحرف الأول من الجذر. كما ظهر اتجاه ثالث اهتم بترتيب الكلمات وفق أواخرها، مراعيًا حاجات الدارسين، ولا سيما في مجالي الشعر واللغة.

وقد أفرز هذا التنوع المنهجي ثروة معجمية كبيرة، شكّلت ركيزة أساسية في حفظ اللغة العربية وتقعيدها، وأسهمت في نقلها من التداول الشفهي إلى التدوين المنهجي، مما جعل المعجم أداة علمية مركزية في الدرس اللغوي العربي.

خاتمة:

في ضوء مضامين هذه المطبوعة البيداغوجية وأهدافها ومحاورها، يمكن استخلاص النتائج المتوخاة منها على النحو الآتي:

- ✓ إبراز أن التراث اللغوي العربي يتضمن تصورات لسانية علمية عميقة، تؤكد أصالة الفكر اللساني العربي وقدرته على التحليل والوصف.
- ✓ التأكيد على أن اللسانيات العربية القديمة قامت على منهج وصفي تحليلي، قريب في أسسه من المناهج اللسانية الحديثة.
- ✓ بيان أن علماء العربية نظروا إلى اللغة نظرة شمولية، تقوم على تكامل المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية.
- ✓ توضيح أن نشأة اللسانيات العربية ارتبطت بدوافع دينية وحضارية، في مقدمتها صون القرآن الكريم وحماية اللغة العربية.
- ✓ إبراز إسهام المدارس اللسانية والنحوية في تطوير الدرس اللغوي العربي، وأن اختلافها كان عامل إثراء وتوسّع.
- ✓ تمكين الطالب من الربط بين اللسانيات العربية القديمة واللسانيات الحديثة، واستثمار التراث في الدراسات المعاصرة.

قائمة المصادر المراجع:

1. القرآن الكريم برواية حفص عن نافع.
2. آفاق المعاجم العربية، أوريل بحر الدين، مكتبة لسان العرب، ط1، 2020.
3. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن مبارك، مكتبة العروبة.
4. الإقناع في القراءات السبع، عبد العالي سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1985.
5. البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1978.
6. بغية الوعاة، السيوطي، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.
7. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
8. التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، دت.
9. التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1994.
10. التطور الإبستيمولوجي للخطاب اللساني، جمعان بن عبد الكريم، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010.
11. التفكير اللغوي بين القديم والحديث، كمال بشر، دط، 2005.
12. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب، لبنان، دط، 1935، ج1.
13. الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1.
14. الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، حسام البهنساوي، زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2005.

15. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997.

16. الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، أحمد سليمان ياقوت، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1989.

17. دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، محمد خليفة الدناع، جامعة قاريونس، ليبيا، د ط، 1991.

18. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تصحيح: محمد عبدوه ومحمد محمود التركزي الشنضيطي، تعليق: محمد رشيد رضا، لبنان، دار المعرفة، ط3.

20. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الانجلومصرية، ط3، 1976.

21. الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، صفية مطهري، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003.

22. الدلالة الصوتية في اللغة العربية، صالح سليم عبد القادر الفاخري، الإسكندرية، مصر مؤسسة الثقافة الجامعية د ط، د ت.

23. سبب وضع علم العربية، السيوطي، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، ط1، 1988.

24. الشرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق: إميل يعقوب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

25. الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993.

26. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

27. العلم اللغوي وصناعة المعجم، علي القاسمي، مطابع جامعة الملك سعود، السعودية، ط1، 1975.

28. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، 1980، ج1.

29. الفهرست، ابن النديم، ص102، وتحقيق: البدوي زهران، دار المعارف، القاهرة، 2006.

30. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت، دار المعرفة، ط1، 2005.

31. اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009.

32. اللسانيات العامة الميسرة: تطبيقات من اللغة العربية، نعمان عبد الحميد بوقرة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط2015.

33. اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، منشورات كلية الآداب عين الشق، المغرب، 1998.

34. اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، أحمد محمد قدور، دار الفكر، سوريا، ط1، 2001.

35. اللسانيات، النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ط 2. 2005.

36. مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، دار المعارف، مصر، ط2.

27. محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة ساحة رياض الصلح، بيروت، دط، 1987.

38. المدارس النحوية، التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2008.

39. المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، الأردن، ط3، 2001.

40. المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط7، د ت.

41. المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث، القاهرة، 1999.

42. المدخل إلى علم الصرف، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، 1974.

43. المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، عبد الحميد محمد أبو سكين، دار الفاروق الحرفية للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1981.

44. المعاجم اللغوية العربية بدايتها وتطورها، إميل يعقوب، دار العلم، بيروت، ط2، 1985.

45. المفيد في المدارس النحوية، إبراهيم السامرائي، دار المسيرة، عمّان، الأردن، دط، 2008.

46. المقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

47. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، دار الكتب المصرية، 1966.

48. النّحو العربي عماد اللغة والدّين، عبد الله أحمد جاد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2002.

49. النحو العربي: نشأته تطوره مدارسه رجاله، صلاح الراوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

50. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ابن الأنباري تح: إبراهيم السامرائي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3، 1985.

51. نشأة النحو: وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، دار المعارف، ط2، 1995.

جامعة وهران1 أحمد بن بلة
رئيس المجلس العلمي
كلية الآداب

فهرس الموضوعات

مقدمة.....02
المحاضرة الأولى: التحديد المصطلحاتي والمفاهيمي.....07
المحاضرة الثانية: نشأة اللسانيات العربية.....15
المحاضرة الثالثة: الجهود الصوتية عند العرب القدامى 22
المحاضرة الرابعة: الجهود النحوية عند العرب القدامى.....29
المحاضرة الخامسة: الجهود النحوية عند العرب القدامى2 41
المحاضرة السادسة: الجهود النحوية عند العرب القدامى3.....56
المحاضرة السابعة: الجهود الصرفية عند العرب القدامى.....64
المحاضرة الثامنة: الجهود الدلالية عند العرب القدامى.....71
المحاضرة التاسعة: الجهود المعجمية عند العرب القدامى.....82
المحاضرة العاشرة: المدارس المعجمية ومناهج التأليف المعجمي.....89
خاتمة 96
قائمة المصادر والمراجع.....97
فهرس الموضوعات.....102